العدد (2985) السنة الحادية عشرة الاثنين (20) كانون الثاني 2014
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

حكاية الباب الشرقي

اسرار انضمام العراق الى هيئة الامم المتحدة..؟

2

اول سفارة عراقية في موسكو واول سفير عراقي فيها

موقف صالح جبر من انقلاب بكر صدقي

الحياة في الحلة في القرن التاسع عشر

حكاية أول سفارة عراقية في موسكو سنة 1945 وأول سفير عراقي فيها

■ محمد عبود الساعدي

ذاكرة

حاولت الحكومة العراقية في عام ١٩٤٢ ، اقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي لكن البريطانيين لم يوافقوا على ذلك فقامت الحكومة العراقية بتأجيل الموضوع نظراً لارتباط الحكومة العراقية بشكل كبير بالقرار البريطاني، ولما تحالفت بريطانيا مع الاتحاد السوفيتي بسبب تغيرات ظروف الحرب العالمية الثانية اشارت بريطانيا للحكومة العراقية باقامة علاقات دبلوماسية مع السوفيت.

وفي الواقع، ان الظروف الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ساهمت في خدمة الحكومة العراقية الأمر الذي اكدته التقارير السنوية للسفارة البريطانية عن العراق لعام ١٩٤٥، نقتبس منها هذا النص: " ان احداث العالم خلال الحرب قدمت للعراق خدمة للخروج من هيمنة بريطانيا وحدها عليه ".

مهما يكن من امر، اظهرت حكومة حمدي الباجه جي عام ١٩٤٤-١٩٤٦ رغبتها بتأسيس علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي نظراً لتزايد مكانة السوفيت في الشؤون الدولية وقد اعلنت الحكومة العراقية في سياستها الخارجية عن رغبتها بتوثيق الصلات والعلاقات الاخوية بين الاقطار العربية والدول المجاورة. فضلاً عن، سرورها بتأسيس العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي .

أدى السيد عباس مهدي (١٨٩٨ ـ ١٩٦١) دورا في تأسيس هذه العلاقات حينما كان وزيراً مفوضاً في طهران إذ اجرى عدة اتصالات سرية مع السفير السوفيتي تمخضت عنها هذه العلاقات، وأبلغ عباس مهدي وزير الخارجية العراقي ارشد العمري الذي بدوره أبرق إلى رئاسة الوزراء في ٢١ آب ١٩٤٤، للموافقة على تأسيس هذه العلاقات بين البلدين، وفي الجلسة الثامنة والاربعين المنعقدة بتاريخ ٢٣ آب ١٩٤٤، وافق مجلس الوزراء على ذلك .

وبناءً على ذلك، بعث وزير الخارجية برقية في ٢٥ آب١٩٤٤،إلى مولوتوف (Molotov) وزير الشؤون الخارجية للاتحاد السوفيتي مبيناً فيها، رغبة بلاده بتأسيس العلاقات الدبلوماسية بينهما وترشيح ممثليهما في أقرب وقت. وأعرب نظيره السوفيتي عن رغبة بلاده بذلك أيضاً وعلى هذا الأساس اعلنت رئاسة مجلس الوزراء في ٢٦ آب ١٩٤٤، عن بدء العلاقات الدبلوماسية بين العراق والاتحاد السوفيتي وبشكل رسمي.

على اية حال، سبق الاتحاد السوفيتي العراق بارساله الوزير المفوض المسيو زايتزايف غريغوري ميتوفيتش (M . Zeyziv Gregory Mytovuch)، في ٨ شباط ١٩٤٥، في حين ان الحكومة العراقية تأخرت قرابة سبعة أشهر حتى أرسلت وزيرها المفوض في الاتحاد السوفيتي وتُعزي بعض المصادر سبب ذلك التأخير هو لرغبة الحكومة العراقية بانتهاء الحرب ومعرفة ما ستسفر عنها من نتائج، الا ان عباس مهدي وضح عكس ذلك تماماً حينما وضح ان الحكومة العراقية لم تجد شخصاً يرغب بالذهاب الى موسكو بعد ان رفض الكثيرون ذلك. واشارت صحيفة " العالم العربي " ان سبب التاخير في ارسال العراق بعثته لموسكو هو كون الحكومة لم تجد الشخص المناسب لهذا المنصب نظراً لحساسيته وخطورته إذ ينبغي لمن يشغله ان يكون شخصاً قديراً تتناسب مقدرته مع خطورة منصبه وليس أقل من ذلك .

مهما يكن من أمر، أعربت وزارة الخارجية العراقية في آذار ١٩٤٥، انها بصدد اجراء تعديلات هامة بين الممثلين الدبلوماسيين وعلى اثر هذه التبدلات اختير عباس مهدي ليكون أول وزير مفوض في الاتحاد السوفيتي حسب ما اشارت اليه الوثيقة السرية المؤرخة في ١٦ تشرين الاول ١٩٤٥.

وهكذا ، صدرت الارادة الملكية في ١٨ تشرين الاول ١٩٤٥ بتعيين عباس مهدي وزيراً مفوضاً للعراق في الاتحاد السوفيتي في الدرجة الاولى من الصنف الاول الممتاز من اصناف السلك الخارجي، ويعلل عباس مهدي ان موافقته لتمثيل بلاده في موسكو بعد رفض الكثيرين كانت رغبة منهُ في اسداء خدمة للبلاد كانت بأمس الحاجة اليها وبذلك فند عباس مهدي ما اشيع عنهُ بان ذهابه كان اضطرارياً بعد تلقيه اوامر شديدة من الحكومة العراقية. وهو أمر لا يمكن قبوله منطقياً في السلك الدبلوماسي.

نستطيع القول مما تقدم، ان عباس مهدي اختير لهذا المنصب كونه ادى دوراً مهماً في تأسيس هذه العلاقات بين البلدين ولا سيما حينما كان وزيراً في مفوضية طهران واتصاله بالمفوض السوفيتي هناك كما ذكرنا سابقاً، بتعبير أدق ان اختياره جاء مرتكزاً على حقائق موضوعية اثبتها بجدارة عباس مهدي خلال عمله الدبلوماسي مما دعا الحكومة الى ان تختاره لهذا المنصب. على اية حال، غادر عباس مهدي إلى موسكو في ٨ تشرين الثاني١٩٤٥. ووصل اليها في ٤ كانون الاول ١٩٤٥، فاستقبل فيها بحفاوة كبيرة من قبل الحكومة السوفيتية.

التقى عباس مهدي بوزير الخارجية المسيو مولوتوف وعبر الطرفان عن سرورهما ببدء العلاقات بين البلدين كما التقى بعدها برئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية جوزيف ستالين وذلك في ١٣ كانون الاول ١٩٤٥، وكان المفروض ان تجرى مراسيم لهذا الغرض الا ان طبيعة السوفيت لا يقيمون مراسيم واستعراضاً في مثل هذه الامور بل تجرى المراسيم بشكل بسيط، ولذلك لم يلقِ عباس مهدي خطبته المقررة أمام الرئيس فارتجل كلاماً من صميم قلبه جاء فيه : " لي عظيم الشرف، ان اقدم لفخامتكم كتاب الاعتماد الذي عينني بموجبه حضرة صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم نيابة عن مولاي المعظم حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني، كمندوب فوق العادة ووزير مفوض للعراق لدى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. لاعمل على توطيد الصداقة بين الدولتين" فحظي عباس مهدي بترحيب الرئيس السوفيتي الذي اعلن عن سروره بتعيينه في الاتحاد السوفيتي.

القضايا السياسية:

نتج عن الحرب العالمية الثانية بعد ان وضعت أوزارها عام ١٩٤٥، صراع سياسي من نوع جديد قائم على كسب الحلفاء، ليس فقط في اوربا وانما في الشرقين الاوسط والادنى مما دعا عباس مهدي الى متابعة هذا الامر كون العراق احد اهم البلدان في الشرق الادنى.

وبناءً على ذلك، اشار عباس مهدي في ١ شباط ١٩٤٦ ، الى قيام كل من السوفيت وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية باقتسام هذه المناطق فاطلق العنان للسوفيت في منطقة البلقان في حين تركت حرية العمل للحلفاء في الشرقين الاوسط والادنى وبالرغم من ذلك فان السوفيت لم يتركوا اهتمامهم بالمنطقة العربية إذ اشار عباس مهدي الى," ان السوفيت يلمحون من خلال تصريحاتهم السياسية الى ضرورة انسحاب بريطانيا وفرنسا من سوريا ولبنان لا سيما ان هاتين الدولتين اعترفتا باستقلال سوريا ولبنان" .

وبدأت الحكومة السوفيتية تزيد من اهتمامها بالدول العربية حسب ما وضح ذلك عباس مهدي واشار، ان السوفيت يرون ان الملك عبد الله والوصي عبدالاله والملك فيصل الثاني هما من سلالة واحدة وهم مرتبطون ببريطانيا سواء عن طريق الاتفاقيات او عن طريق التبعية السياسية، ثم اضاف عباس مهدي، ان السوفيت لاحظوا سعي بريطانيا لتأسيس اتحاد متين للشرق العربي يكون تحت اشرافهم، واستنتج عباس مهدي انهم يشيرون إلى اتحاد العراق وشرقي الاردن، ثم بين سبب هذه التصريحات، هو محاولة بريطانيا السيطرة على منطقة البحر الابيض المتوسط والخليج العربي من خلال الاتفاقيات التي ترفضها بشدة حكومة الاتحاد السوفيتي إذ تعتبرها انها بديل عن الانتداب. فضلاً عن، معارضة المملكة السعودية للاتحاد الهاشمي بين العراق وشرقي الاردن حسب ما تناقلته الصحف الناطقة باسم الحكومة السوفيتية .

تابع عباس مهدي، تفاصيل اجتماع وزراء الخارجية للدول الاربع في نهاية آذار ١٩٤٧، وبين ان هذا الاجتماع كان من المقرر ان يتم الاتفاق فيه على قضايا تخص مؤتمر الصلح الا انه لم يصدر شي منه بسبب فشله واوجز عباس مهدي جملة من النقاط حسب قراءاته ورؤيتهُ كانت وراء هذا الفشل وهي، الاختلاف على مقدار التعويضات الالمانية وحصة السوفيت منها وكيفية دفعها، الاختلاف على تعديل الحدود الالمانية البولونية، الاختلاف على الوحدة الالمانية وكيفية استئصال نازيتها وتوجيهها نحو المبادئ الديمقراطية، مصير ممتلكات الالمان في النمسا، الاختلاف على تسوية الحدود اليوغسلافية النمساوية والتعويضات النمساوية إلى يوغسلافيا .

واستنتج عباس مهدي ان مخالفة السوفيت لمعظم قرارات الدول الثلاث وهي الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا بخصوص المانيا، جاء كون هذه الدول تسعى من خلال اقتراحاتها الى انشاء دولة نازية جديدة تكون درعاً ضد الاتحاد السوفيتي وهذا ما اكده عباس مهدي حينما عبر ما نصه: " ان الحكومة السوفيتية تعلق في كل مناسبة بانها لا تريد السيطرة على سياسة بلد اجنبي من البلاد. ولكنها في الوقت نفسه، لا تخفي تطلعها الى مشاركة الدول الاخرى، في التدخل السياسي الاجنبي سواء كان ذلك في الغرب ام في الشرق".

القضايا الاقتصادية :

لاحظ عباس مهدي في تقرير ارسلهُ من موسكو في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٦، ان الحياة الاقتصادية قد اضطربت كل الاضطراب بعد الحرب العالمية الثانية وبين، ان اكثر الاضرار الاقتصادية وقعت على الدول التي اصابتها ويلات الحرب، وعلل سبب ذلك الى، قيام هذه الدول بضخ العملة النقدية بكثرة بحيث بلغت حداً لا يمكن تصوره بسبب صرفها الاموال على معدات الحرب وضرورياتها. فضلاً عن، دفع التعويضات المالية للجنود الذين تعرضوا للاذى وحسب قاعدة العرض والطلب فان هذه الدول اصبحت تعاني من عجز في الميزانيات.

وعلى اثر ذلك، يشير عباس مهدي إلى، قيام الحكومة السوفيتية بجعل اسواقها التجارية حرة باعتبارها افضل وسيلة لجمع الاموال من الناس، ولاحظ عباس مهدي ان من يأتي إلى موسكو يرى فيها فحش الغلاء ما يبهرهُ ، ولذلك طالب بزيادة مخصصات المفوضية العراقية الى نسبة ٣٥٠٪ بالنسبة الى رواتبهم هذا مع مراعاة عباس مهدي لخزينة الدولة العراقية حسب ما تذكر الوثائق.

ذاكرة

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

عباس مهدي

عكست الحرب اثاراً سلبية على الواقع الاقتصادي العالمي هذا ما وضحه عباس مهدي في ١٩ نيسان ١٩٤٦، حينما اشار إلى المجاعة العالمية ووصفها " بأنها رجت الكون رجاً واشعلت جميع الصحف والاذاعات العالمية وكان وقع هذه المجاعة بشكل كبير ومباشر في اوربا " ويوضح عباس مهدي، ان المانيا خُرب ونُهب ما فيها فاصبح اهلها جياعاً وكذلك دول البلقان، كما قامت بريطانيا بتخفيض الغذاء الذي كانت تعطيه للفرد فاصبح لا يكفي لهم، اما الهند وبورما فالمجاعة فيها شديدة وتهدد سكانها لدرجة ان الرئيس الامريكي هاري ترومان (Harry S. Truman) طلب من دول العالم تقديم المساعدة للجائعين وحث الامريكيين إلى الاقتصاد في الغذاء.

من هذا المنطلق، ابدى عباس مهدي أستغرابه عن قيام الحكومة العراقية بتقديم المساعدات الغذائية للدول المتضررة في الحرب بالرغم من الشعب العراقي يعيش معيشة ضنك وجوع وفقر نتيجة حاصلاته الزراعية القليلة، وإزاء ذلك طلب الأخير من الحكومة العراقية عدم التهاون في هذا الأمر لا سيما ان العراق يعاني نقصاً في المحاصيل الزراعية بسبب الفيضان والجراد. وتشير المصادر المواكبة لتلك الفترة ان عامي ١٩٤٦ – ١٩٤٧، بالنسبة للعراق هما اسوأ الأعوام في تاريخ العراق الزراعي الحديث فقد قل المطر وكثر الجراد وتعرضت المزروعات لاضرار منوعة وتضاعفت الرغبة في تصدير الحنطة والشعير للاثراء السريع، فاصبحت البلاد في عام ١٩٤٧، تشكو أزمة حادة هي كما عبر عنها" ازمة الخبز" التي هزت المجتمع بكامله لدرجة انها أودت بحياة الكثير من العراقيين جوعاً واجبرت بعض العوائل على بيع فلذات اكبادها هذا فضلاً عن البطالة والتضخم المالي.

وبناءً على ذلك ، نبه عباس مهدي الحكومة على مسؤولياتها أمام الشعب قبل كل شي وعليها عدم التفريط بالسماح بتصدير اطعمة كثيرة إلى الخارج ولنقرأ سوية نصيحته للحكومة العراقية: " انه ربما يطول امد المجاعة وتكون المحاصيل العراقية للسنة القادمة غير جيدة لا سامح الله فلماذا نوقع شعبنا في ضيق، والكثير يعاني من الفقر، فلماذا نكثر عليهم ويلاتهم، ونسوقهم الى الاضراب والشغب على الحكومة وعلى التجارة وعلى البلادئوحينئذ تقع على الجميع خسارتها ".

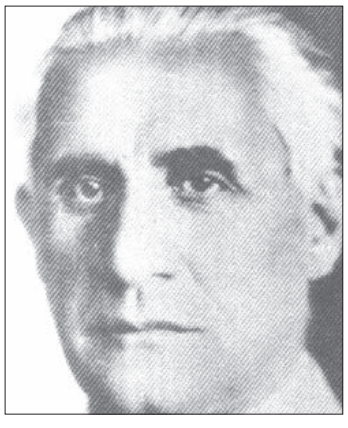

حمدي الباجه جي

حتى وصف أحد أعضاء مجلس النواب تلك الفترة قائلاً: " لقد عاينت شخصياً ان هناك بيوتاً عديدة تتباكى من الجوع ليلياً لانها لا تجد ما تقتات به " واضاف، ان الحكومة تقوم بتصدير الحنطة والشعير إلى ايطاليا دون ان تبالي بمصالح ابناء الشعب اولاً.

من خلال ذلك، لفت عباس مهدي نظر الحكومة العراقية إلى هذا الوضع الذي يهدد المنطقة من الناحيتين السياسية والاقتصادية معرباً ان السوفيت يسعون إلى، نشر الشيوعية خصوصاً ان لهم اساليب عديدة للدعاية وجلب الناس اليهم على مختلف طبقاتهم كما فعلت في اذربيجان وبلاد البلقان وغيرها، ولهذا راى عباس مهدي ان من واجبه الوطني ان يناشد الحكومة العراقية بالقيام بمشاريع عمرانية وصحية وثقافية واقتصادية تعود بالفائدة على مختلف طبقات الشعب وتجعلهم ملتفين حولها ويشعرون بانها لهم ومنهم، واضاف انه يجب على الحكومة ان لا تفوت توحيد الكلمة بين افراد الشعب بالاساليب والطرق التي تراها صالحة للقيام بهذا العمل الذي تعود فائدته للجميع.

يلاحظ مما تقدم، ان عباس مهدي يرى انه ربما تنعكس الصراعات على النفط في المنطقة نحو العراق وبذلك وستتجه الحكومة السوفيتية إلى نشر الشيوعية في تلك البلدان والتي يرى فيها خطراً يجب تجنبهُ ونتيجة لهذا حذر عباس مهدي الحكومة العراقية عام ١٩٤٧، منها ودعاها إلى تحسين أوضاع أبناء الشعب بمختلف طبقاتهم كي لا ينجرفوا إلى الشيوعية فتخسر الحكومة كل شي.

قضايا حول سياسة العراق :

كان من الطبيعي، ان يهتم عباس مهدي بكل ما يخص العراق فاطلع على ما تنشرهُ الصحف وتذيعه الاذاعات الأجنبية بهذا الخصوص .

من هذا المنطلق، أعرب عباس مهدي في ٢٩ آذار ١٩٤٦، حول رؤية سياسة العراق من وجهة النظر الأجنبية، إذ أشارت وكالة رويترز الاخبارية اللندنية(Reuters News Agency) حسب ما يذكر عباس مهدي، عن وجود هياج شعبي في العراق ضد البريطانيين، وان الشعب العراقي يطالب بتعديل المعاهدة العراقية – البريطانية، وان تعديل المعاهدة وفق الطموح الوطني هو مستحيل نظراً إلى فقدان شروطها التي تضمن الاستقلال التام للعراق، وأضاف عباس مهدي ان الوكالة اشارت إلى اعتماد السياسة العراقية على بريطانيا بشكل كبير، وهي برمتها تقوم لمنفعة بريطانيا التي تسيطر عليه من خلال المستشاريين والملحقين الثقافيين والمدربين العسكريين. فضلاً عن، سيطرة بريطانيا على المطارات والأهم من ذلك هو سيطرتها على النفط العراقي بواسطة مد خط انابيب عبر البحر الابيض المتوسط الذي تسيطر عليه بريطانيا تقريباً .

وفي ضوء ذلك، لاحظ عباس مهدي ان الحكومة السوفيتية ترى ان العراق اصبح بعيداً عن سياستها وبدأت تطلق التصريحات ضد الحكومة العراقية على انها، حكومة رجعية ولا تعترف بالمنظمات الديمقراطية من خلال اغلاق الصحف واعتقال العمال ومنع التظاهرات، ويضيف عباس مهدي ان الحكومة السوفيتية ترى، ان كل ما يقوم به المعارضين من احزاب وصحف يتم اتهامهم بالشيوعية كما فعلت الشرطة عام ١٩٤٦ حينما اطلقت النار على عمال النفط في كركوك(كاووربا غي) لمطالبتهم بزيادة اجورهم وتم اتهامهم بالشيوعية .

أدت هذه الاجراءات وتحديداً مسألة العمال إلى، انتقاد السوفيت للسياسة العراقية وذلك حينما اعرب وزير الخارجية السوفيتي إلى عباس مهدي متسائلاً، هل ترغب الحكومة العراقية بتحسين العلاقات بين بلدينا فاجابه عباس مهدي ما نصه: " ان وجودي في بلادكم دليل كاف على رغبة الحكومة العراقية بتحسين العلاقات معكم ومع سائر الدول "، ثم تسأل وزير الخارجية عن قيام الحكومة العراقية باصدار احكاماً على مجموعة من العراقيين مدعيةً ان لهم صلة بسفيرنا في طهران وهذا امر يثير الاستغراب الشديد، فوضح عباس مهدي هذا الأمر مبيناً، ان المتهمين حكم عليهم بجريمة محاولتهم قلب نظام الحكم في العراق وان القوانين العراقية تعاقب على ذلك بصرف النظر عن مذاهبهم السياسية التي يتبعونها واضاف عباس مهدي ان هذه الاحكام ليست قطعية وقابلة للتمييز، واضاف ان ما ذكرته الصحف والاذاعات حول هذه الاحكام بسبب اعتناقهم المذهب الشيوعي ليس صحيحاً بل يتعلق الامر بقلب نظام الحكم في العراق وترويج الفوضى والعصيان والتمرد. فاستنتج عباس مهدي مما تقدم ان الحكومة والرأي العام السوفيتي استندا إلى هذه الاحكام من خلال ما نشرته الصحف والاذاعات البريطانية وهو امر تحاول من خلاله الاخيرة تشويه سياسة الاتحاد السوفيتي امام العرب. ولذلك طلب عباس مهدي من الحكومة العراقية توضيح ذلك للعالم في حين اكدت الحكومة العراقية ذلك حينما وجهت الاتهامات إلى حزب الاستقلال اثناء انتقاده لقتل عمال النفط، بانه يتحيز إلى جانب الشيوعية والشيوعين.

يلاحظ مما تقدم ان عباس مهدي كان غير واقعياً في توضيحاته امام وزير الخارجية السوفيتي، إذ ان الحكومة العراقية كما تؤكد ذلك المصادر قامت باعتقال هؤلاء المتظاهرين واتهمتهم بالشيوعية في حين انهم لا يمتون للشيوعية بصلة، بتعبير اخر، ان الشيوعية كانت تهمه ضد كل من يعارض سياسة الحكومة آنذاك.

حرص عباس مهدي، على توسيع علاقات العراق ببلدان الدول الاسكندنافية وهي السويد والنرويج والدنمارك، ووضح في ١٧ كانون الاول ١٩٤٦، ان هذه الدول لها اهمية كبيرة وهي تعد من ارقى دول اوربا بالرغم من صغر حجمها الا انها كبيرة في علاقاتها ولا يخشى من سياستها، وبناءً على ذلك طلب عباس مهدي من الحكومة العراقية ضرورة الاستفادة من الاخصائيين الموجودين في هذه البلدان في المشاريع العمرانية الجديدة التي تحتاج الى خبرات اجنبية، مضيفاً ان هذه الدول اصبحت من الامم التي يود الاتصال بها كثير من دول العالم حتى الكبرى منها ولذلك اقترح تعيين وزير مفوض واحد لها يجعل مركزه الدائمي في السويد ويشرف على المؤسستين الاخريتين في النرويج والدنمارك وهو أمر اعرب عنه عباس مهدي بانه متبع في كثير من الدول، كما انه غير مُكلف مقابل الحصول على منافع اقتصادية وسياسية . وطبقاً لما ورد من خطب السياسيين وما نشرته الصحف السوفيتية الرسمية في كانون الثاني ١٩٤٧، بين عباس مهدي ان الحكومة السوفيتية ترى في نوري السعيد انه شخصية بريطانية بامتياز وهو يريد جعل البرلمان العراقي على غرار البرلمان البريطاني مستندين في ذلك إلى استقالة الوزراء الذين ينتمون إلى أحزاب معارضة عام ١٩٤٦، كما اعرب السوفيت ان السعيد يريد زج العراق إلى كتلة دولية لا مصلحة للعراق بها، بعد ان صرح السعيد ان الحياد مضر ولا قيمة له الان بل انه نصح الدول العربية إلى ضرورة التحالف مع احدى الكتل الدولية التي يرون معها مصالحهم. في حين اعرب عباس مهدي ان العالم العربي لا يؤيد نوري السعيد في سياسته هذه.

وفي الحقيقة، ان هناك دول عربية كانت ترغب بالتحالف مع احدى هذه الدول التي برزت بقوة بعد الحرب العالمية الثانية، وهو لا يشمل جميع الدول العربية كما ذكر عباس مهدي .

مهما يكن من أمر، لم تستمر العلاقات بين البلدين طويلاً إذ سرعان ما بدأت العلاقات بالتوتر منذ البداية، وذلك حينما طلب الاتحاد السوفيتي، مجموعة من الخرائط عن العراق، فرفضت الحكومة العراقية ذلك كما رفضت إقامة معرض للصور عن الحياة في الاتحاد السوفيتي في القنصلية السوفيتية في بغداد، متذرعة ان ذلك يكون ذلك دعاية للاشتراكية او الشيوعية، ولهذا خضعت تحركات الدبلوماسيين السوفيت منذ البداية لمراقبة دقيقة من قبل اجهزة الامن في داخل بغداد وخارجها.

ومما زاد الموقف تردياً في علاقة البلدين هو موقف السوفيت من القضية الفلسطينية ومساندتها لقرار التقسيم عام ١٩٤٨، ووصفها الحرب العربية ضد (اسرائيل) في نفس العام بالعمل العدواني، مما اثر بشكل سلبي على العلاقات بين البلدين فاستغلت الحكومة العراقية هذا الموقف لقطع علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي.

عن رسالة (عباس مهدي)

الملك فيصل الثاني

عبد الاله

نوري السعيد

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

ذاكرة

استجلاء موقف صالح جبر من انقلاب بكر صدقي سنة 1936

كيف دخل وزارة الانقلاب وكيف استقال؟

■ فاطمة صادق السعدي

تشكلت وزارة حكمت سليمان في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٣٦ ، إثر انقلاب بكر صدقي، وكان في نية حكمت سليمان، أن يختار نوري السعيد أو صهره جعفر العسكري، ليأمن جانب البريطانيين ، لكن كامل الجادرجي أقترح عليه إستيزار صالح جبر، متصرف كربلاء آنذاك، لعلاقته مع البريطانيين أيضا . وفي هذا الصدد يقول الحسني، أن صالح جبر ذكر له ، أنه تلقى مكالمة هاتفية من بغداد، في اليوم الذي شكل فيه حكمت سليمان الوزارة (٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦) ولم يكن قد سمع بأنباء انقلاب بكر صدقي، وقد عرض عليه حكمت سليمان الدخول في وزارته، لكنه أعتذر عن تلبية الطلب، فلم يقبل حكمت سليمان عذره، لكن صالح جبر بقي متمسكا برأيه، ولم يكن من حكمت إلا أن أنهى المكالمة، فطلب من صالح جبر التوجه إلى بغداد . ليسند له وزارة العدلية.

صالح جبر

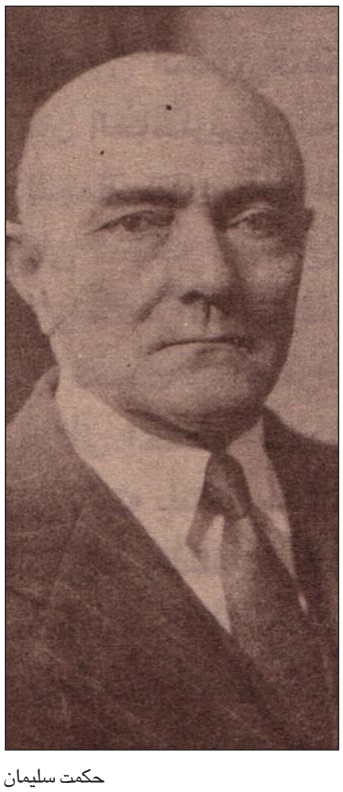

حكمت سليمان

وقد جاء في منهاج وزارة العدلية ضرورة تأمين مساواة الأفراد التامة أمام القانون، وتوزيع العدل فيما بينهم، وانتهاج خطة إصلاحية، لتقوية روح الاستقلال والحياد، ورفع مستوى الكفاءة في المحاكم واعادة النظر في أصول انتخاب الحكام والقضاة، وترقيتهم، والعمل على زيادة خبراتهم القانونية والعلمية لرفع شأن القضاء، وإعادة النظر في أصول المرافعة وإصلاحها ، وسلامة الأحكام، وسرعة إنجازها ، وإصلاح القوانين المدنية والتجارية، وغيرها، لتلبية متطلبات البلاد ، حسبما تقتضيه التطورات الاجتماعية والاقتصادية .

وبالرغم من الموضوعات التي وردت في منهاج هذه الوزارة في المجال القانوني والعدلي، لكن شيئا من المنهاج لم يتحقق، فقد سارت

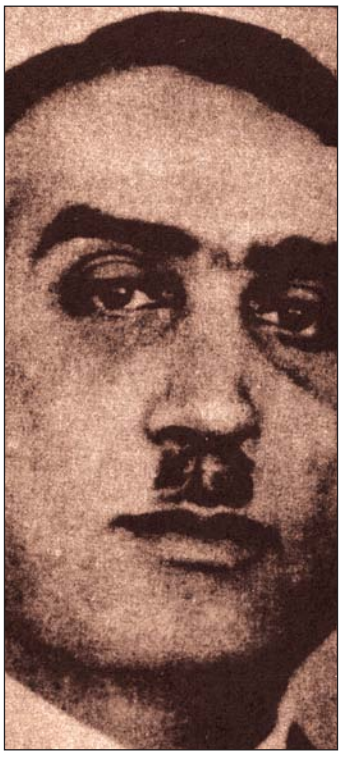

بكر صدقي

سياسة العراق من خلال الحكومات المتعاقبة على وضع خطوات جدية، أكبر من المتيسر، وتحل أو تستقيل الوزارات ، دون تحقيق أدنى نسبة منها، بل عكست المظهر التقليدي، والرتابة دون إنجاز مثل هذه المناهج الكبيرة . لقصر فترة الوزارات المتعاقبة، وتباين القدرات، وغياب الموضوعية في معظم المناهج للحكومات المتعاقبة .

لقد عمل صالح جبر، بجدية لإنجاز منهاجه، وبخاصة معالجة الموضوعات التي لها مساس مباشر بعمل وزارته، والتي عرضها في مجلسّي النواب والأعيان، لكن الأحداث الجسيمة، التي حدثت في العراق، بسبب انقلاب بكر صدقي ، وعجز القائمين على الحكم في فهم معاناة المجتمع، وقِصر المدة التي عمل فيها صالح جبر وزيراً للعدلية، والتي لاتتعدى السبعة أشهر. لم تحقق تلك الطموحات والآمال المكتوبة على الورق .

على الرغم من ذلك فقد سعى صالح جبر، إلى معالجة الموضوعات التي تخص وزارته ومنها التي تمت مناقشتها في مجلسي النواب والأعيان، مثل مسألة التخمين، في ميزانية الوزارات والتي قال عنها، بأنها توضع على سبيل التخمين ولايمكن لحكومة من الحكومات أن تحصر بالشكل الصحيح مخصصات الأنفاق وصرفيات الدولة والواردات التي تدخل الميزانية، وأن الحاجة تقدرها الحكومة وهي حريصة كل الحرص على حد وصفه ، وأن واردات الدولة لاتنفق إلا في سبيل الصالح العام. وعرف عنه أنه كثير المداخلات، بشأن المواضيع، التي تخضع لمناقشات حامية، فقد كان يتحدث في الجلسات، بمنطق القانون، وكيفية المحافظة على أحكامه، ومن أهمها أمور الميزانية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، أن ميزانية السنة المالية لعام ١٩٣٧، قد رصدت مبلغا قدره ٩٣١,٦٣٢دينار لسد نفقات الدولة، لشهري نيسان وأيار، لمساعدة المسجونين الذين صدرت بحقهم الأحكام ، مذكرا بأن الميزانية توضع من قبل الحكومة على سبيل التخمين ، الذي أشار إليه، ولايمكن لحكومة ما أن تحصر بالضبط مخصصات الأنفاق وصرفيات الدولة والواردات، التي تدخل في الميزانية. وقد أوضح بأن الحكومة قدمت بعض المساعدات للمنكوبين الذين يحتاجون إلى المساعدة ، ولابد والحالة هذه، أن تضع الحكومة بعضا من المبالغ ، بعامل الاضطرار والحاجة الماسة إذا كانت تخدم الصالح العام وتسعف المتضررين . وقال صالح جبر مخاطباً العين عزرا مناحيم دانيال الذي طالب بإلغاء المادة ٢٧ والمادة ١٣ من نظام المصادرة والنفي "اشكر مقرر اللجنة عزرا ،حينما تذاكرنا على اللائحة في اللجنة وأنا الآن اكرر نفس الجواب ... والمصادرة التي وقعت بموجب هذا المرسوم هي مشروعة وقانونية وان نظام منازعات دعاوى العشائر من الأنظمة التي تتضمن الكثير من التجاوزات على القوانين العمومية والقواعد الحقوقية المرعية وللقانون الأساسي [الدستور] نفسه، وان المادة ١١٤ من القانون الأساسي اعتبرت جميع البيانات الصادرة بين اليوم الخامس من تشرين الثاني ١٩١٤ وتاريخ تنفيذ الدستور صحيحة ومرعية إلى أن تبدل أو تلغى من قبل السلطة التشريعية ، أو إلى أن يصدر من المحكمة العليا قرارا يجعلها ملغاة . وبما أن نظام دعاوى العشائر المدنية – الجزائية الصادر سنة ١٩١٨ هو من جملة هذه الأنظمة ، وأن الفقرة الثالثة من المادة ٢٧ من هذا النظام ، تجيز مصادرة الأموال أو قسم منها العائدة إلى إحدى العشائر أو بعض أفرادها عندما تأتي أعمال منافية للولاء نحو الحكومة، فلا يمكن اعتبار المصادرة الواقعة مخالفة للدستور ، ولكن الحكومة بداعي الأنصاف ، ارتأت استصدار هذا المرسوم المتضمن إعادة الأموال غير المنقولة له والمصادرة بموجب قرارات المجالس العراقية".

رد صالح جبر على العين أصف وفائي عندما طلب من الحكومة النظر في إلغاء قانون دعاوى العشائر المخالف للقانون وذلك بتشكيل لجنة أو محكمة عليا.

أجاب "ان قانون دعاوى العشائر مخالف للقانون واني مستعد لشطب كل ما هو مخالف للقانون الأساسي".

وبشأن موضوع رسوم الطابو(ضريبة العقار) ورسوم المحاكم، تعرض صالح جبر لأكثر من سؤال بشأن تخفيضها، فكان جوابه، بأن رسوم المحاكم خفضت بشكل عادل وليس فيها زيادة ، ولم تكن غاية الحكومة من وضع الرسوم لأجل الحصول على منبع من الواردات، وانما وضعت ضمانا لمن يمتنع عن إعطاء حقوق الناس ، وأن لجنة تشكلت في وزارة العدلية لدراسة حالة الرسوم وأنواعها بالصورة التي تنسجم والمصلحة، واللجنة في حالة عمل متواصل .

لم يترك صالح جبر شيئا ما يعرض أمامه إلا وأجاب عنه، وتشير محاضر مجلس النواب إلى إيضاحاته المسهبة، فقد عرض الأعيان موضوع رسوم المحاكم والطابو. وانتقد آخرون وزارة العدلية بشأن ضعف التفتيش العدلي، وبينوا أن المبالغ التي تصرف على دوائر التفتيش التابعة للوزارة كبيرة ، ولم تتحقق الفائدة حتى أن الوزارة غارقة في مشاغلها وغير مهتمة بالتقارير التي ترفع إليها من الدوائر او ان هذه الدوائر في بعض الأحيان لاتؤدي واجبها بشكل صحيح. وكان رد صالح جبر، ان دوائر التفتيش العدلي قائمة بأعمالها المكلفة بها، على وفق مايتطلبه القانون، وان المبالغ التي تنفق ليست اكثر من الفوائد التي تقوم بها هذه الدائرة ، لان الفائدة منها اكثر من النفقات ، ولكن ربما يقال إن التفتيش غير مستجمع للشروط الكافية وهذا صحيح.

من جانب آخر عرض موضوع كثرة التنقلات بين الحكام، بحيث أصبح حسم بعض القضايا البسيطة يحتاج إلى مدة طويلة . كان رد صالح جبر، إن نقل الحكام يؤدي في بعض الأحيان إلى تأخير حسم القضايا، ولكن الحاكم الجديد ، يقوم بدراسة القضايا بشكل جيد ليصدر الحكم ، وأن التنقلات تجري لأسباب وجيهة وحسبما تقضي الضرورة والمصلحة العامة .

وأبدى العين أصف وفائي ، ملاحظات بشأن المحاكم التي كانت على ثلاثة درجات هي (بداءة ، واستئنافية، وتمييزية) وتساءل فيما إذا كان حق التمييز ، قد بقي مجرد

أسم، فالدعاوى تدقق بصورة استئنافية . أما التمييز فيطبق على مايصدر من المحاكم الصلحية، وأن أصل حق التمييز بالأمور الحقوقية أصبح مهملا. فرد عليه صالح جبر مؤكدا وجهة نظره، وأن الحكومة الحاضرة وسابقتها نظرتا في هذه المسألة، وعبر عن أمله في حل مثل هذه الأمور في القريب العاجل.

وقد وجه العين احمد عثمان ، سؤالا إلى وزير العدلية صالح جبر، بشأن صدور قانون العفو عن جميع الأشخاص الذين اسهموا في انقلاب بكر صدقي عام١٩٣٦، أو (الحركة الوطنية) من كافة التعقيبات والتبعات القانونية الصادرة بحقهم، مما لها مساس بالحركة المذكورة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة مهما كان نوعها وتساءل، "هل إن صدور العفو يكون قبل وقوع الجرم، والعفو يكون بعد نشر القانون في الجريدة الرسمية" فأجابه وزير العدلية صالح جبر، "أن الأصول القانوني جرى في كل اللوائح والقوانين ، وأن القانون ينفذ بعد نشره في الجريدة الرسمية، والقضية ، قضية أصولية العادة جرت على ذلك" .

أما بشأن وضع الملاك الثابت لموظفي إدارة الأوقاف ،فقد عبر صالح جبر عن انتقاده لعدم وجود ثبات قطعي في العالم بالمعنى الثابت، وانما يراد بالثبات هو النسبي، فالوظيفة مهمة شاقة وتحتاج للدرس والمتابعة ، وأن الحكومة مهتمة بهذا الموضوع ، وان لايجري أي تغيير إلا بقرار مجلس الوزراء وان عددا من اللجان قد شكلت في الوزارات، لغرض درس المشروع لان أي مشروع يحتاج إلى دراسة وتدقيق ، موضحا أهمية الأوقاف، التي يجب ان توضع موضع اهتمام الجميع . أراد صالح جبر أن يستغل الحديث عن وزارة الأوقاف فأشار إلى ان الحكومة عازمة على زيادة دور الايتام الاسلامية في بغداد والبصرة والموصل.

طالب أحد الأعيان ، وزير العدلية ، بإلغاء بعض الفقرات المتعلقة بـ(قانون دعاوى العشائر) فأعرب عن أمله بان لا تحذو الحكومة ووزير العدلية حذوا الحكومات السابقة التي وعدت بأمور كثيرة ، لكنها لم تفعل شيئا، وأعرب عن أمله في إن تنفذ الحكومة وعودها. فعبر صالح جبر عن شكره للعين أصف وفائي، ووعده بتنفيذ الوعود ، وحذف كل ماهو مخالف للقانون الأساسي، وأوضح بأن أي تشريع، يقر دون دراسة وتمحيص يكون ناقصا، ولايحقق الهدف المطلوب، فتدخل العين أصف وفائي معقبا بقوله "علينا الاعتماد على تنفيذ الوعود، وليس بإمكاننا أن نفعل اكثر من ان نذكر الحكومة."

في الجانب الاقتصادي تحدث صالح جبر عن موضوع (الذرعة والتخمين) وكيفية قيام الحكومة باستيفاء أجور حق الماء والأراضي البالغة ١٢/٥٪ ونسبة ١٠٪ إلى الاستهلاك ، فيصبح ما يستوفى بنسبة ٢٢/٥٪ وهذا القانون قد نشر عام ١٩٣٦، مما أدى إلى زيادة جهود الفلاح ، وأوضح أن الطريقة المعمول بها في الوقت الحاضر تتلائم مع مصلحة الزراع والحكومة معا ، بعد أن أجريت عليها تعديلات خلال السنوات الماضية. وتحقق قانون الاستهلاك، الذي لا يفرض حصة الحكومة إلا على المنتوج الصافي. أما حق الحكومة في الأرض فقد علق صالح جبر عليه بالقول " لا أظن أنه في الإمكان التوصل إلى طريقة احسن من هذه ، وهي طريقة الذرعة (هي المقياس لمعرفة عدد المشارات) مع العلم ان المقرر لكل مشارة هو معلوم لدى الحكومة والتخمين يجري بواسطة هيئات فنية لمعرفة الحاصل ، وهذه طريقة عادلة " ، على حد قوله.

وبين الأخذ والرد ، لدى البعض من الأعيان ، الذين ربما يهمهم الأمر اكثر من غيرهم، بشأن نسب الضرائب المفروضة على الفلاح والأرض ، أجاب صالح جبر أن التخمين ، كان يجري في السابق على أساس الوزن بالكيلو، وتقوم الحكومة باستيفاء حصتها حسب التخمين الذي يحدده المخمنون ، ولهذا فقد شكا الزراع من هذه الطريقة لأنها تقبل الزيادة والنقصان ، أما التخمين المتبع حاليا وكما ذكره صالح جبر فهو يتم بمعرفة مقدار ضريبة الأرض على وفق الماء والمنتوج، لتحديد نسبة الضريبة المقررة لمعدل الإنتاج بوحدة القياس(المشارة).

وحول مشاركة العراق في معرض باريس ودفع مبلغ أربعة آلاف دينار ، أوضح وزير العدلية صالح جبر بأن العراق بلد معروف من الوجهة المالية والتجارية منذ أمد طويل ، فضلا عن مكانته الدولية ، باعتباره ممثلا في عصبة الأمم. وأن من لا يعرف العراق يتوهم "أن العراق هو إيران أو قريب من إيران فهذا التوهم لا عبرة له . بل العراق معروف بالعالم الغربي أجمع ، وهو معروف في منزلته السياسية وبخاصة في مضمار الحياة اما من الوجهة الاجتماعية والسياسية ، ونحن وأن كنا غير عارفين فهو معروف في الخارج بنسبة يرتاح أليها كل عراقي ."

أما بشأن لائحة قانون أنضمام العراق ، إلى الاتفاقية الدولية لمكافحة الأمراض المعدية في الحيوانات ، الموقع عليها في جنيف في العشرين من شباط ١٩٣٥، فقد دعا صالح جبر إلى ضرورة ، استفادة العراق من هذه الاتفاقية ، بوصفه عضواً في عصبة الامم، موضحاً ان اللائحة مهمة وذات فائدة للعراق لانها تضمن المحافظة على الثروة الحيوانية، وهي مسأله مهمة.

استقالة صالح جبر

في الوقت الذي سيطر فيه رئيس أركان الجيش الفريق بكر صدقي على مقدرات البلاد ، وأصبح الحاكم المطلق، بعد أن اسقط وزارة ياسين الهاشمي وتم تشكيل وزارة برئاسة حكمت سليمان ، وبعد مقتل جعفر العسكري ، استهجن معظم الضباط هذا العمل ، ولم يقتصر هذا الأمر على هيمنة بكر صدقي على الجيش ، فقد ولد شعورا من التردد والتخوف بين الناس. ويذكر العقيد موسى علي الطيار الذي عاصر الاحداث انه "وصل شأن المخابرات إلى درجة أن الضباط صاروا يخشون بعضهم بعضا ، فقد قال لي أحدهم إذا رأيت ثلاثة أشخاص فأعلم أن ثالثهم من المخابرات ٠٠" . لقد ابتعدت الحكومة عن هدفها، الحقيقي لخدمة المجتمع فعادت الحركات العشائرية في الفرات الأوسط ، احتجاجاً على سياسة توزيع الأراضي، وقانون التجنيد الإلزامي . وقد زج بكر صدقي عدد من شيوخ العشائر في السجن وكان قاسيا في تعامله مع ابناء العشائر، وغيرها من الأمور التي طفت على السطح في ظل تداعيات هذا الانقلاب ، ولا مناص والحالة هذه ، أن يقدم صالح جبر بصفته وزيرا للعدلية استقالته ، احتجاجا على سياسة القسوة . تجاه العشائر التي مارسها بكر صدقي ، ثم أعقب ذلك استقالة ثلاثة وزراء هم وزير المالية جعفر أبو التمن، ووزير المواصلات والأشغال كامل الجادرجي ووزير المعارف يوسف عز الدين إبراهيم. وذلك في التاسع عشر من حزيران ١٩٣٧. وقبلت الاستقالة في ٢٤ حزيران ١٩٣٧. جاء في اسباب الاستقالة في الكتاب الموجه إلى رئيس الوزراء "ان سياسة الحكومة لاتحقق المبادئ التي تقررت عند تأليف الوزارة" . وقال الوزراء في كتاب استقالتهم ايضا انهم كانوا يجهلون اجراءات الحكومة ضد العشائر في الفرات الاوسط ، ولاشك انهم بذلك كانوا يلقون اللوم على رئيس اركان الجيش الفريق بكر صدقي بالدرجة الاولى.

لانعدو جانب الحقيقة إذا قلنا أن الاستقالة التي تقدم بها صالح جبر، لم يكن سببها ما حصل من تلك التداعيات بسبب الانقلاب فقط، فقد سبق له أن دخل في نقاشات كثيرة مع زملائه الوزراء ، كما ان خلافه مع كل من حكمت سليمان وبكر صدقي ، يمكن إرجاعه إلى أسباب وظيفية، فقد حدث قبل استقالته ببضعة أسابيع، أن تشاجر النقيب محمد جواد الكردي مع عضو محكمة الجزاء عبد القادر السنوي، فأطلق الكردي النار على الحاكم فأرداه قتيلاً، فحكم عليه بالإعدام، وبذل صالح جبر بوصفه وزيرا للعدلية قصارى جهده لتنفيذ الحكم، لكن بكر صدقي وقف إلى جانب القاتل، وأنقذه بنفوذه من عقوبة الإعدام، وأبدلها بالسجن ، فقرر صالح جبر تقديم استقالته.

وفي هذا الصدد يذكر توفيق السويدي أن ضعف وزارة حكمت سليمان جعلت بعض الوزراء يخشون على سمعتهم ونفوذهم ، إذا ما سقطت الوزارة فيصبحوا أنقاضا لنظام ذهب مع الريح ، وانهم صاروا يعترضون على الإجراءات العسكرية ، التي اتخذتها الحكومة ، ضد العشائر ، مدعين أنهم لا يتحملون وزر الحكم الديكتاتوري ، الذي يمثله بكر صدقي ، فاستقالوا مع علمهم بأن الوضع لن يتبدل منذ أن جاءوا إلى الحكم حتى خروجهم ، حتى أن حكمت سليمان قد علق على استقالة الوزراء بقوله "أن الوزراء الذين استقالوا معلومون ...، وأن السياسة التي تتماشى عليها هذه الوزارة في الحاضر والمستقبل هي سياسة وطنية، فالوطنية والقومية هي الأساس الذي ترتكز عليه... وأن الأفكار والآراء الأخرى الهدامة ، والمناقضة للعقيدة الوطنية والبعيدة عن الوضع الاجتماعي في هذه البلاد، هي الآراء والأفكار الخطرة والفاسدة ، وأنه لن تجد لها أي سند في هذه البلاد".

مهما تعددت الآراء حول أسباب الاستقالة ، ومن الذي فكر بها قبل الأخر، فأن الأربعة ، قد اقتنعوا في النهاية بتقديم استقالتهم . ويذكر احد الباحثين "ان صالح جبر لم يكن اول من فكر بالاستقالة فقد روى الاستاذ حسين جميل "ان فكرة الاستقالة دارت في ذهن كامل الجادرجي اولا. فعرضها على جعفر ابو التمن ، الذي طلب اليه التريث في البداية ، ثم اقتنع بها بعد مدة قصيرة فقال كامل الجادرجي ان الاستقالة قد آن اوانها ، فاتفقا عليها ، كما قررا مفاتحة زميلهما يوسف عز الدين وزير المعارف ، فاتفق معهما، ثم عرضا الفكرة على صالح جبر فقبل بها ايضاً".

لم يدم الامر طويلا ، فبعد مقتل بكر صدقي ومحمد علي جواد في الحادي عشر من آب ١٩٣٧، أدرك رئيس الوزراء ، خطورة الموقف فرفع إلى الملك غازي كتاب استقالة وزارته ، التي وافق عليها في السابع عشر من آب ١٩٣٧.

لقد جاء في مذكرات مرافق الملك غازي اللواء المتقاعد فؤاد عارف مانصه: "مازلت أذكر بعد سقوط وزارة الانقلاب ، أن الملك غازي أعرب لي عن رغبته في اللقاء بحكمت سليمان لكنه كان في شبه اقامه جبرية في بيته ، ٠٠لم يخرج حكمت سليمان بعد مقتل بكر صدقي وسقوط وزارته من داره كما لم يكن سهلا أن يلتقيه الملك غازي علانية".

حكاية

الباب الشرقي

ذكر باحثون ومؤرخون ان الباب الذي شيد لسور بغداد عند نقطة التقاء طريق كلواذى بنهاية الشارع الاعظم حمل اسم باب كلواذي (الباب الشرقي) وهذا الاسم استمر طيلة سنيين عديدة والى زمن الخليفة المقتدي الذي انشأ محلة بقرب هذا الباب سميت كما ذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) بمحلة البصلية، فسمي الباب باسم باب البصلية واستمر يحمل الاسمين المذكورين حتى اذا كان العهد العثماني الاخير فاذا به يكتسب اسماء جديدة استجابة لطبيعة لغة ووجود الاجنبي المحتل.

اما السواح الاجانب الذين شرعوا بالمجئ الى العراق ابتداء من القرن السابع عشر حيث شرع بعضهم برسم خرائط لبغداد ومحلاتها وسورها وابوابه فقد ذكر كل منهم الاسم الذي كان يطلق على هذا الباب في وقت زيارته فالسائح الفرنسي (تافرنييه) سماه (قره قابي) أي (الباب الاسود) وذلك سنه ١٦٧٦، والسائح الدانماركي (نيبور) سماه (باب قرلغ) و"كراولوك" سنه١٧٦٦ اما السائح (متيفنو) فسماه (كارانلو قابي) وذكره فليكس جونس وكوليكوود باسم (الباب الشرقي) سنة ١٨٥٤.

وجاء في كتاب (اطلس بغداد–ص١٥) ان رشيد الخوجه سنه ١٩٠٨ ذكره باسم (شرجي قابي) أي الباب الشرقي اما كليمان هوار فقد ذكره كما ورد في كتاب (خطط بغداد– ترجمة ناجي معروف) باسم (كارافلق قالو) أي (الباب المظلم).

ولقد وصف الجغرافي التركي حاجي خليفة سور بغداد وابراجه حسب المسافات بين برج واخر وبين باب واخر وقدر المسافة من برج العجمي الى الباب المظلم ٣٦ برجا ومن هناك حتى النهر اربع ابراج على مسافة قدرها ٥٠ ذراعاً.

والباب المظلم او الباب الشرقي ذو الابراج الاربعة كما يقول المؤرخون والباحثون كان في جزء كبير من ساحة التحرير الحالية والتي كانت تسمى ساحة (الملكة عالية) ابان العهد الملكي وحتى تموز ١٩٥٨.

بينما نطالع في كتابه (حضارة وادي الرافدين ج١، ص٢٥٠) ما ذكره العالم الدكتور احمد سوسة عن الباب الشرقي ما نصه: ان موقع هذا الباب كان في ساحة التحرير الحالية وانه كان يستخدم حديقة في العقود الاخيرة من العهد العثماني ثم استخدم كنيسة للجيش البريطاني الذي احتل بغداد سنة ١٩١٧ وسميت بكنيسة (سنت جورج) وان امانة العاصمة العراقية نقضت هذا الباب في سنة ١٩٣٧ ايام امين العاصمة حينذاك ارشد العمري.

وكانت امانة العاصمة قد لجات الى ايصال شارع السعدون الذي كان يسمى (شارع البتاويين) بشارع الرشيد وشارع الملك غازي (الكفاح) ولم ينصرف الذهن لدى المسؤولين حينذاك الى استثمار الباب الشرقي كابهى اثر تاريخي يتوسط دائرة ترتبط بها هذه الشوارع كما هو الشان حاليا في ساحة التحرير.

وكان هيكل الباب المذكور ما يزال قائما حين جرى نصب تمثال المرحوم عبد المحسن السعدون الذي انتحر في ١٣–١٠–١٩٢٩ وكان هذا التمثال قد نصب في سنة ١٩٣٣ علما بانه قد جرى نقل هذا التمثال من موضعه السابق الى منتصف الساحة المواجهة لساحة التحرير قبل تحويرها الاخير في منتصف السبعينات من القرن الماضي ثم نقل بعد ذلك لموقعه الحالي في شارع السعدون (منطقة البتاوين– ساحة النصر).

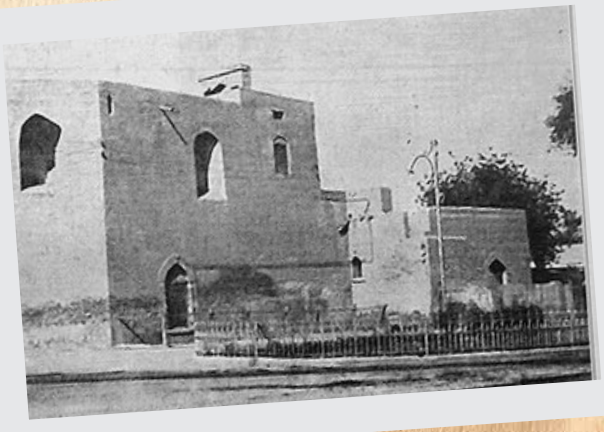

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

شهد العقد الأول من القرن العشرين تنامي وظهور عدد من الجمعيات النسوية في العراق ،أسوة بالجمعيات التي كانت مقتصرة على الرجال ،لاسيما بعد قيام ثورة العشرين ، حيث أدركت المرأة العراقية ضرورة أن يكون لها دور في هذا المجال ، فقد أسست جمعيات عدة كان للمرأة العراقية حضورها المتميز فيها ،وكان لتشجيع العائلة المالكة ودعمها المتواصل لتلك الجمعيات والنوادي أثره الواضح في نجاحها وتحقيق الأهداف المرجوة منها .

جمعية حماية الأطفال ودور الاسرة المالكة في دعمها ورعايتها

■ *نهلة نعيم عبد العالي*

فقد كان للملكة حزيمة والأميرة عالية بنت الملك علي ووالدتها الملكة نفيسة وشقيقاتها ، نشاطات خيرية واسعة متمثلة في حملات التبرع بالأموال وخياطة الملابس وتوزيعها على الفقراء، فضلاً عن أنشاء عدد من المراكز الصحية ودور الأيتام تحت رعاية وأشراف مباشرين ، من لدن الملكة حزيمة والأميرة عالية وإقامة الحفلات الخيرية وإيداع أموالها للجمعية وبالتالي توزيعها على المحتاجين. وعلى الرغم من أختلاف تسميات وغايات تلك الجمعيات ألا أنها أنصبت في نهاية الأمرعلى العمل في حقل الخدمة الاجتماعية كما عكست الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع العراقي ومن أهم هذه الجمعيات:

تأسست هذه الجمعية في الثاني عشر من آذار ١٩٢٨على يد فئة متعلمة لإنشاء جيل يربى تربية صحيحة وبدأت أعمالها في إنشاء مستوصف لها في بغداد ليقوم بمعالجة ما يمكن معالجته من الأطفال فضلاً عن تزويدهم بالحليب والملابس ، ولتوسيع نشاطها فقد سعت الجمعية الى بناء مستوصف أخر كان الملك غازي قد وضع حجر الأساس له في العاشر من تشرين الثاني ١٩٣٣وقد أفتتح في الخامس والعشرين من آب ١٩٣٥ وقام بتقديم خدمات كبيرة إلى الأطفال من الحليب والملابس والأدوية ، كما قام بفتح دورات لتوجيه الأمهات وإرشادهن للعناية بأطفالهن .

وخطت من الملكة حزيمة خطوة اولى تبعتها خطوات مماثلة من نساء العائلة المالكة بعد أن أدركت أهمية هذه الجمعية وأهدافها النبيلة وانعكاساتها الإيجابية على فئات المجتمع العراقي وكانت خطواتها أن أمرت مدير التشريفات العامة بتوزيع بطاقات دعوة في الثامن من كانون الثاني ١٩٢٩ على مجموعة من نساء العاصمة للحضور إلى القصر الملكي لمساندة الجمعية وجمع الإعانات المالية للمحتاجين كما قامت بشراء الأقمشة ووزعتها على النساء لخياطتها للأطفال المحتاجين، وبإلتفاته كريمة من الملكة حزيمة من أجل تشجيع النساء للانخراط في هذا المشروع الخيري قامت بأخذ كمية من القماش من أجل خياطتها وتوزيعها على الفقراء وقد استعانت في إنجاز هذا العمل الخيري بكريمتيها الأميرة عزة والأميرة راجحة. كما انتهزت الملكة حزيمة بعض المناسبات لاسيما الأعياد لدعم الجمعية فقد تبرعت بمناسبة حلول عيد الأضحى في الحادي عشر من أيار١٩٣١ بمبلغ عشرين دينارا لأكساء الأطفال الفقراء من دون تفريق وبصرف النظر عن كونهم مرضى أو أصحاء بل يكفي أن يكونوا فقراء ومعوزين.

كانت الملكة حزيمة تتابع باستمرار نشاطات الجمعية وما تقوم به من أعمال ، ففي الذكرى الخامسة لأنشاء الجمعية ، أقامت الجمعية احتفالها السنوي في الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٣٣، وقد حضرت الملكة حزيمة برفقة كريمتيها وفي هذه المناسبة عبرت الملكة عن سعادتها لما تقوم به الجمعية من أعمال إنسانية كما طالبت من عضواتها توسيع نشاطهن بتقديم الخدمات الإنسانية للنساء الحوامل والعوائل الفقيرة .

وهكذا استمرت الملكة حزيمة بإسناد الجمعية حتى وفاتها في الثامن والعشرين من آذار عام ١٩٣٥، عندها أصبحت الأميرة عالية ملكة العراق ، فأخذت الأهتمام بالمؤسسات العلمية والأجتماعية ، و رعاية هذه الجمعية إذ سارت على نهج الملكة حزيمة ،وبمساندتها وحثها المتواصل تمكنت هذه الجمعية من تحقيق أهدافها المنشودة ، فقد كانت الملكة عالية من السباقات الى التبرع بالأموال بين الحين والأخرلجمعية حماية الأطفال، ففي الخامس عشر من نيسان ١٩٣٦ تبرعت بمبلغ عشرة دنانيرللجمعية ، كما قامت الملكة عالية في العاشر من نيسان ١٩٣٦ بالتبرع إلى صندوق الجمعية بمبلغ عشرة دنانير لمواساة الأطفال التي تقوم الجمعية برعايتهم، فضلاً عن اهتمام الملكة عالية بالجانب الصحي للأطفال.

وعندما اكتمل بناء مستشفى الأطفال في الأول من أيار عام ١٩٣٤، وأنتقل المستوصف إلى البناية الجديدة ، توجه وفد من سيدات المجتمع العراقي لمقابلة الملكة عالية من أجل دعوتها لأفتتاح المستشفى الذي أطلق عليه مستشفى النساء والأطفال . وقد أفتتح في العاشر من أيار ١٩٣٦،حضره ما يقارب مئة وخمسين سيدة من سيدات المجتمع العراقي منهن عقيلات الوزراء وكبار الموظفين والأطباء والممرضات البريطانيات . وفي هذا الحفل ألقيت كلمة ترحيب وشكر للملكة عالية لما قدمته من خدمات خيرية للجمعية والأطفال على نحو خاص ،

مؤكدة أن مؤازرتها هي أكبر مشجع لاستمرار مسيرة هذا العمل الإنساني ، وبعد الانتهاء من كلمة الترحيب قامت الملكة عالية بافتتاح المستشفى وكانت ترافقها شقيقتها الأميرة عبديه وتفقدت البناية ومحتوياتها،وقد أشادت بالنظام العصري الواضح في المستشفى .وقد حققت الجمعية نجاحاً ملموساً في عملها الأمر الذي شجع أعضاءها لتوسيع فروعها وتقديم خدماتها لأكبر عدد من الأطفال، فأفتتح لها فرع نسوي في لواء الموصل عام ١٩٣٧ .

واصلت الملكة عالية وشقيقاتها جهودهن لتطوير الجمعية وعملت على تنظيم مشروع سمي بـ (أسبوع الطفل) وبمناسبة عيد ميلاد نجلها الملك فيصل الثاني في الثاني من أيار ١٩٣٨ تبرعت بمبلغ من المال لصالح مشروع أسبوع الطفل، ودعت إلى تشكيل لجان لافتتاحه في مستشفى الجمعية و نظم احتفال خاص في الثامن والعشرين من ايار ١٩٣٨ حضره رئيس الوزراء جميل المدفعي ممثلا عن الملك وألقى السيد رئيس الجمعية محمد طاهر سليم، كلمة أستعرض فيه مسيرة الجمعية في أكثر من عشر سنوات، وبعد خروج رئيس الوزراء من القاعة ، حضرت الملكة عالية وبرفقتها شقيقاتها الأميرة بديعة والأميرة جليلة ، وقامت بافتتاح مشروع أسبوع الطفل،وفي بداية الحفل أنشدت بعض التلميذات قصائد حيين فيها الملكة وجهودها تجاه الجمعية وذكرن في مطلعها:

يا أم فيصلنا الأميروربة التاج الأغر
تشرفت حفلتنا التي فيها جلالك قد ظهر
وحماية الأطفال شاكرة على طول الدهر

وبعد ذلك ألقت الآنسة أمت السعيد كلمة أستعرضت فيها أعمال الجمعية وأسبوع الطفل، ثم ألقت الدكتورة أوما أشديد محاضرة حول فائدة التربية الطبيعية للطفل وبعد الأنتهاء من الحفل تفقدت الملكة أقسام المعرض الخاص بالأطفال ،وقد زار المعرض السفير البريطاني في العراق(كورونواليس Cornwallis) مظهراً إعجابه بهذا العمل الإنساني .

وتباعاً واصلت الملكة عالية مع والدتها الملكة نفيسة دعمها لمشروع أسبوع الطفل عبر زيارتها للأسواق الخيرية التي نظمتها الجمعية في الثاني والعشرين من كانون الأول ١٩٣٩ ، حيث عرضت فيها ملابس للأطفال والمواد الصحية والكثير من الأمور التي تخص الطفل التي كانت هدايا مقدمة من الشركات والعوائل الثرية وطالبات المدارس، وتشجيعاً لأعمال الجمعية قامت الملكة عالية

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

الملكة عالية

فيصل الثاني

وشقيقاتها الأميرة بديعة والأميرة عبدية بشراء بعض المعروضات ، وقد أبدت الملكة عالية أعجابها بالقسم الذي خصصه المعرض للوقاية الصحية ، الذي هو عبارة عن عرض لبعض النماذج الجبسية لأعراض الأمراض الخطيرة.

سجلت الحقبة ألاحقة توسعاً في النشاطات المقدمة من الفرع النسوي للجمعية، بما يتناسب وتطورات المرحلة لاسيما ما يتعلق بالنهضة النسوية وما قامت به من خدمات أجتماعية. وفي أحدى أجتماعات الفرع النسوي للجمعية قررت الملكة عالية أن يكون أجتماع الفرع أسبوعياً لغرض تشجيع النساء الراغبات في الأنضمام للجمعية من أجل توزيعهن على اللجان المتفرعة من الجمعية ، لذلك أمرت بعقد اجتماع أخرفي يوم الرابع من آذار ١٩٤١وقامت بتشكيل ثلاث لجان وزعت عليهن المهام ، كلفت اللجنة الأولى بالأشراف على خياطة الملابس اللازمة للجمعية ومستوصفها ، وكلفت اللجنة الثانية بزيارة الأحياء الفقيرة والسعي لتعليم الأمهات العناية بالطفل من حيث المأكل الصحي والملبس النظيف أما اللجنة الثالثة فكانت مهمتها القيام بزيارة مستوصفات الجمعية في العاصمة وبذلك فهي تمثل حلقة الوصل مع الجمعية .

ولتشجيع النساء على التبرع تبرعت الملكة عالية بمبلغ مائة دينار وكذلك فعلت شقيقتها الأميرة بديعة والأميرة عبديه فتبرعت كل واحدة منهن بمبلغ خمسين دينارا الأمر الذي شجع النساء الأخريات على التبرع بمبالغ جيدة وألقت السيدة مديحه الهاشمي كريمة السيد ياسين الهاشمي كلمة أشارت فيها إلى الواجب الوطني والإنساني الذي تقوم به الجمعية في تقديم الأعمال الخيرية للطفل العراقي.

أستمر الدعم المالي من سيدات العائلة المالكة لمؤازرة الجمعية ، فتبرعت الملكة نفيسة بمبلغ ثلاثين ديناراً ، أما الملكة عالية فتبرعت للجمعية بمبلغمائة دينار، كما تبرعت شقيقتاها الأميرتين بديعة وجليلة بمبلغ خمسين ديناراًوتبرعت الأميرة صالحة شقيقة الملك فيصل الأول بمبلغ عشرة دنانير، كذلك تبرعت (ليدي كورنواليس .Lady Cornwallis) زوجة السفير البريطاني بمبلغ خمسة وعشرين دينارا وعصمت السعيد بمبلغ دينارين.

و نتيجة للأهتمام الذي أولته الأسرة المالكة للجمعيات النسوية تأسس عدد من الجمعيات اختلفت في أهدافها وغاياتها ، وكانت أغلب هذه الجمعيات تهدف الى تقديم الخدمات الاجتماعية وهذا الأمر يتطلب عدداً كبيراً من النساء المتطوعات للعمل في حقل الخدمة الاجتماعية ، لذلك عقدت الملكة عالية اجتماعاً في الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٤حضرته والدتها الملكة نفيسة وشقيقتيها الأميرة عبديه والأميرة جليلة في قاعة الكلية الملكية ، كما حضر الاجتماع عدد كبير من زوجات أعضاء السلك الدبلوماسي وكانت من ضمنهن الليدي كورونواليس زوجة السفير البريطاني فضلاً عن زوجات الوزراء ، وألقت الملكة في هذا الاجتماع خطاباً طالبت فيه التطوع للعمل في هذه الجمعية مؤكدة بأنها تقوم مقام الوالدين بما تقدمه من مساعدة للأطفال اليتامى والمعوزين.

كما ناشدت في هذا الاجتماع الحاضرات إلى التكاتف ، وقد عدت هذا العمل واجباً مقدساً مؤكدة لهن بأن العراق سيكون مديناً لكل خطوة يقمن بها لإنشاء جيل قوي البنية وسليم العقل وطلبت منهن مضاعفة الجهود لإنجاز أعمال الخياطة والحياكة الخاصة الجمعية للتعرف على مشاكل الأطفال المرضى . وبما أن الطفل هو المحور الأساسي للأجتماع ، فقد أكدت على الحاضرات أن تكون كل واحدة منهن مرشدة وواعظة بتقديم النصائح للأمهات، كما أكدت ضرورة المساهمة المادية بما يتيسر لهن ، وتقديم المساعدة لكل ما تتطلبه هذه الجمعية ثم قامت الملكة عالية بتوزيع الأقمشة على الحاضرات للقيام بخياطتها بعد أن أخذت هي وشقيقاتها قسماً منها. ثم ألقت السيدة صبيحة الشيخ داوود(٣) كلمة أشادت فيها بالدور الكبير للملكة عالية وما قدمته للجمعية من خدمات عظيمة سواء أكانت هذه الخدمات عن طريق حضورها المستمر لتشجيع العاملات في الجمعية ومساعدتهن في الأشغال اليدوية كالخياطة أو ، عن طريق التبرعات المتوالية وكذلك استعرضت دور شقيقاتها ووالدتها لمساعدتهن الجمعية في كل عمل خيري.

ولم تقتصر نشاطات الفرع النسوي للجمعية على تقديم الخدمات الاجتماعية فحسب بل أقيمت دورات لتدريب السيدات على حماية ووقاية الأطفال وتربيتهم على وفق الطرق الحديثة ،وعلى يد متخصصات في هذا المجال حيث نظمت دورات الأمومة لتهيئة أمهات يحسن تربية الأطفال والعناية بصحتهم ، و قد أثمر ذلك عن تخريج دورتين في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٤٤، وأقيمت حفلة على قاعة الكلية الطبية لتوزيع الشهادات على خريجات الدورة ، وقامت الملكة عالية بتوزيع الشهادات على الخريجات ترافقها شقيقتاها الأميرة بديعة والأميرة جليلة ، كما ألقت الملكة عالية كلمة تحدثت فيها عن أعمال الجمعية وما قامت به من مشاريع خدمية لأبناء المجتمع لاسيما الأطفال الفقراء والمرضى.

وبعد انتهاء الملكة عالية من كلمتها تقدمت السيدة عصمت السعيد عقيلة صباح نوري السعيد فألقت كلمة شكرت فيها الملكة لما أبدته من تشجيع ورعاية لهذه الجمعيةثم وزعت على المدعوات مجموعة من النشرات الصحية لإرشاد الأمهات إلى كيفية العناية بأطفالهن عند الرضاعة وأوقاتها ومقاديرها بحسب تدرج سن الطفل ودعت الأمهات إلى حضور المحاضرات التي أعدها لهذا الغرض أطباء الجمعية. ومن جانبها دعت الملكة الحاضرات إلى الأسهام في مشروع إنقاذ الطفولة وذلك بإنشاء دار الطفل لإيواء الأيتام والمعوزين وقد لقيت هذه الدعوة ترحيباً من نساء المجتمع العراقي وكانت الملكة عالية أول المتبرعات فقد تبرعت بمبلغ مائة دينار.

كما أولت الملكة عالية هذا المشروع الإنساني الخيري اهتماماً كبيرًا حتى أنها دعت إلى التبرع الإجباري لبناء (دار الطفل) لغرض إيواء الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم سبع السنوات ، ممن لم يتوفر سكن لديهم ، وتضم هذه الدار روضة ومستوصفاً وقاعات للألعاب ودار سينما للأطفال ، كما أنشأت دوراً للأمهات اللواتي يعملن نهاراً في الجمعية وتطلب هذا المشروع جمع مبلغ خمسين ألف دينار عراقي ،وقد جمع هذا المبلغ من التبرعات بالفعل ، وبعد ذلك تألفت لجنة لبناء هذه الدار يرأسها السيد جميل المدفعي، ونائبها السيد محمد مهدي كبة كما تكونت لجنة تنفيذية أخرى برئاسة الدكتورسندرسن باشا وعضوية كل من محمود الشاهبندر والسيد باقر أحمد

وهكذا وبجهود الملكة ونشاطها تم بناء دار لأيواء اليتامى من الأطفال.

ولم يقتصر نشاط الجمعية على الأعمال الخيرية فحسب بل كان لها نشاطات أخرى ففي الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٤٤ عقد المؤتمر النسائي الأول في القاهرة برئاسة السيدة هدى شعراوي ويعد هذا المؤتمر نقطة تحول مهمة في نضال المرأة العربية التي برهنت على كفاءتها وتفاعلها مع الأحداث وقدرتها على تحمل مسؤوليتها الوطنية والقومية ويهدف المؤتمر الى تكثيف الجهود لإيجاد تنظيمات نسوية في الأقطار العربية وقد قامت السيدة هدى شعراوي بتوجيه نداء إلى نساء الوطن العربي لحضور هذا المؤتمر فاستجابت الأتحادات والجمعيات النسوية التي كان العراق من ضمنها إذ تشكل وفد نسوي برئاسة السيدة نظيمة تحسين قدري عقيلة السيد تحسين قدري الوزير المفوض في مصر فضلاً عن عضوية كل من السيدة مائدة الحيدري ممثلة جمعية حماية الأطفال، والسيدة سرية الخوجة ممثلة جمعية الهلال الأحمر والدكتورة سانحة أمين زكي ممثلة وزارة الشؤون الأجتماعية . وفي أثناء أنعقاد المؤتمر ألقت مندوبة جمعية حماية الأطفال مائدة الحيدري كلمة مستعرضة فيها نشاط الجمعية منذ تأسيسها عام ١٩٢٨ والأهداف التي أنصبت على مساعدة الأطفال الفقراء واليتامى منذ ولادتهم وحتى سن السابعة كما أستعرضت نشاط الجمعية في تأسيس المستوصفات لعلاج الأطفال وأمهاتهم ووقايتهم من الأمراض بإرشاد أطباء أخصائيين وممرضات متمرسات كما تحدثت أيضا عن مشروع إنقاذ الطفولة المشردة المدعوم من الملكة عالية والذي يضمن رعاية الطفل منذ ولادته حتى يكون قادراً على العمل.

وقد تبرعت الملكة عالية بتكاليف سفر مندوبة الجمعية السيدة مائدة الحيدري البالغة مائة دينار ،لكي يكون للمرأة العراقية حضورها الفعال في هذا المؤتمر فقابلت الأوساط النسوية هذا الدعم بمزيد من التقدير للملكة لأخذها بيد المرأة العراقية.

أخذت الجمعية في التوسع ، فأسست لها فرعاً نسوياً في لواء بغداد في الثاني عشر من آذار عام ١٩٤٥ ،الذي جاء متأخرا بالقياس الى الفرع النسوي في الموصل الذي تأسس قبل ثماني سنوات وكانت أهدافه وغاياته لا تختلف عن أهداف الجمعية من تقديم خدماتها للعوائل الفقيرة والحوامل ،ثم أخذت الجمعية في فتح فروع لها في الألوية الأخرى كالنجف والعمارة والناصرية وكانت الملكة عالية تولي هذه الفروع أهتماماً كبيراً وتتابع نشاطاتها بأستمرار.و أعتمد فرع الجمعية في بغداد في ميزانيته على اشتراكات العضوات وتبرعات المواطنين وريع الأسواق الخيرية والحفلات التي يقيمها الفرع ، وكان للفرع نشاطات متميزة ، ففي نيسان ١٩٤٥ أقيمت حفلات ترفيهية كان الهدف منها جمع المال لمساندة الجمعية ،ومنها حفلة تمثيلية أقيمت على قاعة الملك فيصل الثاني في التاسع عشر من نيسان ١٩٤٥ وشاركت فيها فرقة مصرية وكانت هذه الحفلة برعاية الملكة عالية كما أقام الفرع حفلات موسيقية ترفيهية في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٤٦بحضور الملكة عالية والأميرة جليلة والأميرة عبديه وبحضور والدتهن الملكة نفيسة تشجعاً ودعماً منهن للجمعية ويعود ريع هذه الحفلات لمنفعة الأطفال الفقراء.

وتوجت جهود الجمعية بتأسيس مستوصف الشيخ عمر عام ١٩٤٧ الذي عرف (بمبرة الملكة عالية) تيمناً باسم الملكة عالية والتي أنشئت على غرار مبرة الملكة فريدة في مصر، لمساعدة العوائل الفقيرة ، وتبرعت الملكة عالية لهذه المبرة بمبلغ خمسين ديناراً في السابع عشر من كانون الأول ١٩٤٧ ، كما قام الفرع النسوي بتوجيه نداء الى اصحاب المتاجر والمحسنين للتبرع لأنشاء هذه المبرة ، وقدمت الجمعية شكرها للملكة عالية وكل من لبى هذا النداء لدعمهم المتواصل للجمعية ، ونظراً للجهود التي بذلتها الملكة عالية تجاه الجمعية فقد صدرت الأرادة الملكية قراراً بمنحها نوط حماية الأطفال من النوع الذهبي.

ونظراً لجهود الملكة عالية في أعداد بيئة صحية وأجتماعية صالحة ولكونها الرئيسة الفخرية لجمعية حماية الأطفال ، فقد رشحتها وزارة الخارجية العراقية في السادس والعشرين من نيسان الأم الأولى ١٩٥٠رداً على البرقية التي أرسلتها القنصلية العراقية في نيويورك طالبة فيها ترشيح الأم الأولى لمنحها جائزة الدبوس الذهبي الممنوحة من لجنة الأمهات الأمريكيات. ونظرا لأتساع مسؤوليات النساء فقد أصبحت لهذه اللجنة مسؤولية دولية تمنح فيها جائزة لكل أم من كل دولة من الدول التسع والخمسين المنضمة إلى هيئة الأمم المتحدة عند الاحتفال بيوم الأم في الثاني عشر من أيار من كل عام، وعند وصول البرقية أتصل المسؤولون بوزارة الشؤون الاجتماعية التي أعلمت جمعية حماية الأطفال أنها اقترحت أن تكون الأم العراقية التي تستحق هذه الجائزة هي الملكة عالية.

ذاكرة
العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

سليمة مراد باشا

سليمة مراد او سليمة باشا كما يطلق عليها جمهور بغداد، توضح في التحقيق ما غمض من علاقتها مع المطرب العراقي الراحل ناظم الغزالي، عارضة في الوقت نفسه لكذريات منسية من حياة الفن في عاصمة الرشيد..

■ تحقيق: غازي العياش
صحفي راحل

تحملت لوعات منكم وانهدم ثلثين حيلي.
آني مو بيدي ولكن قلبي مايهوى بدلكم
غير هذا شأريد اكلكم كل من يرده حليبه

وتمتد اليد التي رسمت تجاعيدها الخمسون عاما لتوقف الصوت الغارق في حزن عميق والمنطلق من آلة التسجيل... وتروي صاحبته بنفسها قصتها مع القدر والتي اخفتها بين ضلوعها منذ اكثر من ثلاثين عاما:

واللوعات كثيرة في حياتي رافقتني منذ صباي حتى يومي هذا.. حصلت على لقب (باشا) واغدقت عليّ الاموال بلا حساب ونثرت الجواهر وتبعثر الذهب تحت اقدامي واصبحت مطربة تحتل القمة.. وذاعت شهرتي بين العواصم العربية والاوربية.. وفي بغداد وقفت ام كلثوم تخاطب الالاف من مستمعيها وهي تتمنى ان تملك حنجرة صافية قوية كالتل يتملكها مطربة العراق سليمة مراد.. ورغم هذا كله بقي قلبي ممزقا لايعرف غير الوحدة، تنزف حروحه دما.. واللوعة تترعرع بين ضلوعي.. وعندما بدأت جروحي تلتئم وتعرف نفسي المتعة الصادقة فقدت الانسان الذي وفر لي كل ما تمنيت بعد ستين عاما من الحرمان؟!..

وتبكي سليمة مراد بصوت مسموع.. اجهشت في بكاء مر نصف ساعة تحاول عبثا المبللتين بالدموع الى صورة ناظم الغزالي المتصدرة صالون بيتها وبصوت تكسره العبرات عادت تقول:

كان بالنسبة لي وسادة مريحة اسند اليها رأسي بثقة.. لم نكن متزوجين.. ولم يكن الجنس له وجود بيننا.. عشنا معا سبع سنوات برابطة الاحساس المرهف والشعور الفياض البريء المستمد من الفن.. كنت انظر اليه كطفل مدلل.. علمته النغم والمقام العراقي بكل زوزاياه، وعلمني الصبر والثقة بنفسي فاعادني الى الغناء بعد ان اعتزلته.. كان دافعي في الحياة.. وكنت السلم الخفي الذي صعد به طريق المجد.. وجاء من يتهمني بأني قتلت ناظم.. اتهمني الذين جاؤوا اليّ بعد موته يطالبون بساعته الذهبية ليضعها ابنهم في معصمه وتراب قبر ناظم لم يجف بعد؟!.

ويقف الكلام في فمها وكأنها تحبس سرا في صدرها وتغير مجرى حديثها:

-دعنا من حديث الالام ولنرجع الى الماضي ايام المجد وعزه ومن ثم اعود الى الحاضر لاروي شقائي مع الناس.. كان عام ٩٥٣ يوم جاءت ام كلثوم الى بغداد لتعمل في ملهى (الهلال) في منطقة الميدان وهي مطربة مبتدئة بالنسبة الى سليمة باشا التي هي انا وفي حفلة خاصة احتضنت ام كلثوم العود واخذت تعزف واجدة من اغنياتي (قلبك صخر جلمود ما حن عليّ). وبدأت تغنيها وبعد اول مقطع منها توقفت من العزف والغناء والتفتت نحوي وابتسامة خجل ترتسم على وجهها

سليمة مراد

وهي تقول (ياريت كنت اقدر اغنيها زيك) واخذ الحاضرون يصفقون مجاملة لها ولاشعارها انها اجادت الغناء وطلبوا منها في الحاح اكمال الاغنية ولكن ام كلثوم اكملت كلامها لي ان شاء الله بعد عشر سنوات يكون لي قوة حنجرتك واوتارها الصافية وبعدها اغني الاغنية بتاعتك وربنا يساعدني اغنيها كويس حتى ما تكونيش زعلانة مني) وبعد خمس سنوات سجلت ام كلثوم الاغنية على اسطوانة تجارية دون ان تأتي على ذكري او صلتي بالاغنية رغم اني بذلت جهودا كبيرة من اجل ان تتقن ام كلثوم لحن الاغنية؟!

وتسكت سليمة مراد التي حصلت على لقب (باشا) بعد اربعة رؤساء وزارات في العراق.. وتطرق برأسها الى رسالة تلقتها من ام كلثوم قبل عشرين عاما وفيها تخاطب سليمة مراد (ستي سليمة باشا) وترفض اطلاعي على الرسالة.. وتمضي في حديثها:

-لم اكن يومها بحاجة الى ام كلثوم لابني مجدي الفني فيكفي اني شغلت مئات العقول لسياسيين كبار.. وافرغت الكثير من الجيوب العامرة بسببي حتى ان البعض كان يأتيني بسندات ملكية عقاراته متوسلا بها ان يكون واحدا من عشاقي.. ومازلت اذكر التاجر الحلبي الذي ارسل لي من حلب اوراق تملك احد بيوته في الشام وعندما اعدت له الاوراق شاكرة باع البيت وارسل لي ثمنه؟!.. ولم اطلب الحب من احد بل كان المئات يسعون اليّ ويزحفون على ركبهم من اجل كلمة كاذبة يقولها لساني دون احساب من قلبي وهي (احبك) والتي قلتها مرات بلا احساس او شعور بل من اجل التسلية وجبر خواطر مئات العشاق المتيمين بحبي؟!.. وحتى الان لا ادري كيف حالفني الحظ والنجاح وحالف الفشل شقيقتي (مسعودة) التي شاركتني الغناء في البداية رغم انها اكثر مني جمالا وصوتها اكثر حلاوة.. كانت مرحة لاتعرف الهموم ولا تعير بالا للالام تضحك وتمرح ليومها.. وانا ابكي واتألم ليومي وللايام القادمة لاني لم اجد من يسعد قلبي رغم استعداد الالاف ان يكونوا عبيدا له.. وفي الوقت الذي كانت تسير فيه (مسعودة)، نحو الفشل والنسيان كنت اصعد انا سلم المجد والجاه، واحترقت هي في اضواء الشهرة التي احاطتني وانزوت في البيت منسية وجلست انا على قمة المجد دون مزاحم، اغسل بدموعي عرشي، باكية مع نفسي، وكان السبب في ان يكون الحزن طابعي في الغناء... وذات يوم فكرت ان اهجر الاضواء والمجد والشهرة والمال وانزوي في طيات النسيان مع بائع لبن او بائع دواليب الاطفال علّي اكون سعيدة مرة واحدة في حياتي.. كنت تعيسة في طفولتي وشقية في شبابي ومجدي وكان الله جلت قدرته اراد ان يعوضني في شيخوختي فبلل قطر الحب شفتي ثم عاد وايبس فوقها اخضرار حلاوة عمري عندما خطف مني ناظم الغزالي؟!!.

وتنحدر سطور الدموع على خديها دون ان تقف في طريق كلامها الذي مضت فيه وحبات الدموع تتساقط مسرعة على فستانها الاسود الذي لف جسدها المتعب.

-كانت في قلب ناظم لوعة كنت احس بها لانها نفس لوعتي.. كنا نجلس ساعات دون ان نفوه بكلمة واحدة ولكننا نطلق الاهات التي وحدها تعبر عن مكنونات قلبينا وما فيهما من لوعة واسى وألم.. كان هو الاخر قد ذاق من الحرمان واليتم واللوعات والجوع مالم يعانه احد من قبل.. لم يعرفه قريب يوم كان يستجدي ثمن كتب مدرسته.. ولم يذكروه يوم عانى المرض والتشرد والبطالة وعندما اصبح اسما لامعا عرفه الجميع ويوم مات عرفوا مايملك ونسوه؟!.

وتسند جبينها الذي احتلته سطور التجاعيد بكفها وهي تصف اعنف واحرج موقف صادفته في حياتها.. بينما نعش ناظم الغزالي تحمله اذرع عشاقه واصدقائه وتودعه آهات المعجبات كان رجل البوليس يجلس الى جانب سليمة مراد يستنطقها في تهمة قتله:

-هل من المعقول ان افعل هذا بناظم.. انا اقتل طفلي المدلل، وحبي البريء، واملي الوحيد.. شلت يداي واليد التي تريد به السوء.. انا دسست له السم؟!.. هذا ما قالوه حتى ينالوا ما تركه ناظم وليتهم جاؤوا اليّ دون اشاعاتهم القذرة لاعطيتهم كل ما ترك ناظم وما املك لاني زاهدة في المال والاملاك بل زاهدة في الدنيا كلها بعد رحيله!!..

انني اعيش الان في نار لاترحم ولكنها ليست نار الحب بل نار الفرقة التي احرقت حتى ضلوعي.. ان الانسان الذي انكوي بناره كان بالنسبة اليّ الامل والنور والطريق الواسع الذي لايعرف الاشواك الدامية.. صحيح ان فارق العمر بيننا كبير ولكن الحب الصافي والاحترام الذي كان يظللنا اذاب كل فوارق..

ذاكرة
العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

والوذ بالصمت فترة طويلة جففت خلالها الدموع العالقة باهدابها.. وابعدها كلاما عن ناظم الغزالي وتبقيه في قلبها وذكراه تمتزج في دمها.. وسألتها عن قلب (باشا) الذي اقترن باسمها:

-الجمهور هو الذي منحني هذا اللقب.. فذات يوم اخذ الطرب بمشاعر احد الحاضرين في المكان الذي كنت اغني

فيه فوقف صارخا (انت باشا واحسن من الباشا)، ومن يومها ينهي الجمهور اغانيه وطربه بجملة (ياسليمة باشا)، من يومها اقترن اللقب باسمي؟!.

وترتسم ضحكة خفيفة على شفتيها اليابستين كأرض جرداء تستجدي المطر وتروي حادثة:

-واجه مجلس الوزراء العراق ازمة عندما اعترض احد الوزراء من الذين يحملون لقب (باشا) على حملي هذا اللقب واقترح اذاعة بيان رسمي من اني لا احمل اللقب ولكن رئيس الوزراء تلافى الامر مخاطبا الوزير المعترض.

ارجو ان لاتذكر هذا الكلام خارج المجلس حتى لاتطالبنا سليمة مراد بأجور الدعاية للقب (باشا).. وضحك الجميع لان رئيس الوزراء نفسه يحمل لقب (باشا)؟! ولمحت سؤالا حائرا يقف في عيني يمنعني الحرج واللياقة من ذكره ولكنه مازال يثير الكثير من تساؤلات الناس فاجابت دون ان اسألها:

-نعم انا يهودية ولقد اشهرت اسلامي منذ عام ١٩٥٠ برغبة ودون كره، وامي واخي اشهرا اسلامهما منذ ما يقرب العشرين عاما، وابي ذكر الشهادة (المحمدية) وهو على فراش الموت يستمع الى تلقين (الحاخام)؟!!.

وعدنا الى الحديث عن ايام زمان.. كيف كان الفن وليالية وسهراته:

-ليالي زمان الفنية لايمكن ان تقارن بلياليا اليوم.. صحيح كان يومذاك بذخ واسراف ولكن ليس من اجل الجسد الرخيص والمتعة الجنسية كما هو اليوم بل من اجل الفن الصحيح والمتعة الروحية.. وكانت حلب في سورية عاصمة الفن كانت اشبه (بكعبة) للفن يجب على كل فنان ان يحج اليها.. وقد حج اليها الموصللي وسيد درويش والحاملي والاغواتي وام كلثوم وعبدالوهاب وزكية جورج وطيرة المصرية.. ان رواد الطرب اليوم يطربون بعيونهم ورواد ايام زمان يطربون بأذانهم؟!!

وقطع حديثها دخول شقيقتها وبعد ان همست كلاما في اذنيها اطرقت سليمة برأسها الى الارض وبعد خروج شقيقتها رفعت رأسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع.. وعادت الغصات تعترض كلامها:

-عصر كل خميس اذهب هناك لاذرف الدموع على قبر انبل انسان عرفته في حياتي، حتى في غنائه كان يحاكيني بعفة ونقاء وتجرد..

كانت الساعة تشير الى الخامسة من عصر يوم الخميس وفي السيارة التي استقليتها كان صوت ناظم الغزالي ينطلق من الراديو:

ان البدور اللواتي جئت تطلبها
بالامس كانوا هنا واليوم قد رحلوا

وناظم الغزالي واحد من بدور الطرب ولو لم يختطفه الموت لاصبح بدرا ساطعا في عالم الغناء ولبقيت سليمة مراد في اخضرار حلاوة عمرها يبلل قطر الحب شفتيها اليابستين؟!.

مجلة الاسبوع العربي ١٩٦٤

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

تميزت هذه المرحلة ، ببروز دور المثقفين ، بحركة فكرية سياسية ، اتسمت بالحضور النوعي في أداء دورها الاجتماعي والوطني ، وما يهم بحثنا خلال هذه الفترة الزمنية المحددة هو ذكر النشاط النسوي للمرأة العراقية آنذاك ، ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال مريم نرمة التي ولدت في عام ١٨٩٠ وتوفيت في عام ١٩٨٢ فأنها كانت من رواد الصحافة النسوية في العراق ومن دعاة تحرير المرأة وتثقيفها ، وقد كتبت اولى مقالاتها في مجلة دار السلام الأدبية في بغداد ، كما أصدرت جريدة مستقلة لوحدها في السادس من أيار (مايو) ١٩٣٧ في بغداد أسمتها (فتاة العرب) وجعلت شعارها بلاد العرب للعرب وكانت ترفع شعار في جميع رسائلها الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، وكذلك السيدة حبسة خان النقيب بنت الشيخ معروف وابنة عم الشيخ محمود الثائر الحفيد ، ولدت في السليمانية عام ١٨٩١ ، كانت تجيد الكثير من اللغات إضافة إلى كونها رئيسة جمعية نسائية في السليمانية وأسست مدرسة لتعليم النساء القراءة والكتابة ، وفي عام ١٩٣٠ بعثت حبسة خان رسالة إلى عصبة الأمم تطالب فيها انهاء الانتداب البريطاني عن العراق ومنح الشعب الكردي حقوقه القومية المشروعة.

■ سامي عبد مشعب الموسوي

مثقفو العراق في العشرينيات

حضور فكري وسياسي واجتماعي

وفي السياق نفسه مما يؤشر نشاط المثقفين في تلك المرحلة هو تشكيلهم للأحزاب السياسية ، وهي أحزاب ستة كان بعضها امتداداً لتنظيم سياسي سابق تشكل في ظروف معروفة ، ثم انتهى ثم اعيدت تركيبته من جديد ، وفي ظروف مختلفة ، الأمر الذي يشير إلى ثبات بعض ركائزه وخروج البعض الآخر ، مع إضافات جديدة لوجوه وشخصيات استدعت المرحلة او المصلحة هذا التوافق والتجمع ، وفي هذا التخصيص المحدد نعني حزبين ، الأول (الحزب الوطني العراقي) ، الذي غاب عن العمل السياسي بسبب نفي زعماءه بأمر السر برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في ٢٦ آب ١٩٢٢، وهم السادة (جعفر ابو التمن ، وحمدي الباجه جي ، ومحمد مهدي البصير ، وعبد الغفور البدري ، والشيخ أحمد الشيخ داود) ، إلى جزيرة هنجام.

بعد عودته من المنفى ، قدم جعفر ابو التمن طلباً إلى وزارة الداخلية في حزيران عام ١٩٢٨ ، يبلغها فيه ، (ان الحزب الوطني العراقي سوف يستأنف عمله في الثلاثين من هذا الشهر) ، وقد أجابته وزارة الداخلية بموافقتها على ذلك. وقد استأنف الحزب عمله وفق المنهج الذي كان قد اجيز بمقتضاه في عام ١٩٢٢( ). وضمت إدارته في هيئتها القيادية رمزين من رموز النخبة القانونية العراقية ، هما علي محمود الشيخ علي وبهجت زينل .

وأما الحزب الثاني فهو حزب (النهضة العراقي) ، والذي اقتضت ظروفه السياسية ان يمر بفترتين خلال عمله التنظيمي ، فقد توقف عن العمل في المرة الأولى بأمر المندوب السامي البريطاني في ٢٦ / ٨ / ١٩٢٢، ونفي زعمائه (امين الجرجفجي ، وعبد الرسول كبة) إلى جزيرة هنجام . وبعد ان عادا إلى بغداد في شباط سنة ١٩٢٣ ، بدأت الفترة الثانية من حياة الحزب ، بهيئته الادارية الجديدة في ٣٠ / ١١ / ١٩٢٤ .

شهد الواقع السياسي والاجتماعي في العراق ، ولادة أحزاب جديدة وتنظيمات سياسية خلال تلك الفترة عبرت عن تلاقي مصالح ودواعي انتخابية ، وتقلبات للسياسيين في سبيل السلطة ، كما عبر البعض منها عن حاجات وطنية وضرورات قائمة ، ومن أجل ذلك بادر جمع من المواطنين إلى تشكيل حزب جديد بعد غياب (الحزب الوطني) سموه (حزب الجمعية الوطنية) ، الذي تأسس في السابع والعشرين من شباط سنة ١٩٢٨ ، وتألفت ادارته من سبعة أعضاء ، أغلبهم من النخبة القانونية المثقفة ، أمثال صادق البصام وعلي محمود علي وعبد العزيز ماجد وعلاء الدين النائب. وقد اندمج هذا الحزب فيما بعد بـ (الحزب الوطني) بعد عودة الأخير للعمل السياسي ، وفي تركيبة ضمت نخبة من القانونيين البارزين ، أمثال مزاحم الباجه جي وعبد العزيز ماجد وعلي محمود الشيخ علي ، كما ضمت مهدي كبة وعبد الغفور البدري.

دعت الظروف السياسية المستجدة في تلك الفترة ، الحاجة إلى تشكيل حزب ينضوي تحت لوائه أنصار مؤيدون ، للفوز بالانتخابات ، ذلك هو (حزب العهد العراقي) الذي اجيز في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ ، آخذا اسم (جمعية العهد) التي تألفت في استانبول في العهد العثماني ، وقد عرف بأنه حزب نوري السعيد ، وقد أراد نوري السعيد من تشكيله ليكون سنداً لوزارته ، التي أوكلت إليها مهمة عقد معاهدة جديدة مع بريطانيا ، هي معاهدة (١٩٣٠) ، لتنظيم العلاقات بين العراق وبريطانيا ، بعد دخول العراق عصبة الأمم، وقد ضم الحزب في تشكيله ، كلاً من القانونيين المثقفين ، ابراهيم الواعظ وعبد الرزاق الرويشيدي وعبد الرزاق منير ونجيب الراوي وصلاح بابان وصادق البصام ، وهذا الأخير ظهر معارضاً في المجلس بعد ذلك ضد الكتلة الحكومية.

وفي السياق نفسه في تشكيل الأحزاب ، تألف حزب معارض لوزارة نوري السعيد ، هو حزب الاخاء الوطني ، الذي أجيز رسمياً في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ ، وقد تألفت تركيبته من رموز النخبة القانونية ، رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وكامل الجادرجي ومحمد زكي .

أما الاستثناء الوحيد في هذه المرحلة والمهم هو ولادة حزب جديد تلاقت فيه خطوط جديدة مثلت العناصر الشابة ، التي برز دورها في رحاب طلائع الفكر القومي وحاولت من خلال حماسها القومي الذي جمعها من منابع الفكر القومي ، ومن منابع اجتماعية مختلفة ، ان تكون ممثلة لهذا التيار الجديد النامي ، في نهج جديد عبر عن روح التفاعل الثقافي والاجتماعي التي كان لها المساس المباشر في واقع المجتمع العراقيوظل هذا المنبع يرفد هذا التنظيم وغيره بالصورة السليمة والحلول المطلوبة .

لقد كان ذلك الاستثناء هو "جماعة الأهالي" ، وهي تشكيلة سياسية خاصة ضمت مجموعة من الساسة الشباب المثقفين ، تراصفوا واتحدوا بعد التوقيع على معاهدة (١٩٣٠) بين العراق وبريطانيا ، وقد مثلت النخبة القانونية المثقفة فيها دوراً قيادياً من خلال حسين جميل وعبد القادر إسماعيل اللذين ربطت بينهما صداقة الدراسة والعمل السياسي في كلية الحقوق في سوريا ، ثم أنضم إليهم آخرون من القانونيين كخليل كنه وغيره ، حيث اتفقوا على تقديم طلب بامتياز جريدة باسم "الأهالي" إلى وزارة الداخلية في صيف ١٩٣١ ، على أن يكون صاحبها ومديرها المسؤول حسين جميل ، وفي ٢ تموز منحت وزارة الداخلية امتياز جريدة "الأهالي" ، وصدر العدد الأول من الجريدة يوم ٢ كانون الثاني سنة ١٩٣٢ .

أما الأمر الثاني الذي نحدده هنا فهو دور المثقفين في قيام الصحافة الوطنية ، إذ شكل المثقفون فيها دائرة الضوء التي أستنار بها المجتمع العراقي ، من خلال الدور الفاعل فيها ، وكانت تلك الصحافة بمثابة لسان حال الشعب في أفراحه وأتراحه وجده وهزله ، وكانت تلك الوريقات التي يعبر عنها بالصحافة ، مرصعة بأسماء لامعة من المثقفين بمختلف ألوانهم واتجاهاتهم الثقافية والفكرية ، وفي متابعتنا لهذه الصحافة ، وفي إطار الفترة المحددة ما بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣٢ ، فقد صدرت ثلاث وأربعون صحيفة ومجلة ونشرة ، تنوعت في صدورها بين السياسة اليومية أو الثقافة الشهرية أو الأسبوعية ، وتنوعت في الوسائل والطرق التي اختارتها ، ومن ذلك من سلك طريق الكتلة والتعبير عن الواقع بالسخرية والنقد ، وبالصراحة والرمز.

كما أن بعض تلك الصحف كان امتداداً لما سبق ، حيث أن بعض المجلات والصحف قد سبق أن صدرت ثم توقفت لأسباب كثيرة ، ثم عاودت ، ومن أبرزها "لغة العرب" وهي إحدى المجلات المهمة التي كانت تصدر قبيل الحرب العالمية الأولى في بغداد ، وهي شهرية أدبية وعلمية، أستأنف صدورها في تموز سنة ١٩٢٦ ، ولبثت تصدر ستة أعوام ثم احتجبت ، وكان يتولى إصدارها الأب أنستاس ماري الكرملي ، أما مديرها المسؤول فهو المحامي الشيخ جواد الدجيلي شقيق الشيخ كاظم الدجيلي الذي أدى دوراً متميزاً في إصدار "لغة العرب" في شتى مراحلها ، وكان الشيخ جواد الدجيلي قد درس الحقوق في القاهرة ، وخلفه في إدارة المجلة محام آخر هو طاهر القيسي اعتباراً من أيلول ١٩٢٨ إلى حين تعينه حاكماً في المحاكم المدنية اعتباراً من حزيران ١٩٣١ ليخلفه لطفي مصطفى .

وكانت بعض صحف هذه المرحلة تعبر عن حزب معين تنطق باسمه، ويأخذ رموز النخبة القانونية دورهم الطليعي على عتبات هذه البوابة المتنورة ، وهي تدافع وتشرح وترد ، ومن أمثلة ذلك جريدة "نداء الشعب" وهي يومية سياسية كانت لسان "حزب الشعب العراقي" وقد برزت في بغداد يوم الأربعاء ٢٠ كانون الثاني ١٩٢٦ ، وبقيت حية مدة سنتين ، وقد أحتجت في مفتتح سنتها الثالثة ، وكان مديرها المسؤول المحامي حقي الجيبه جي ، وفي ٢٨ أيلول ١٩٢٩ أعاد أصدراها عبد الغفور البدري لتحل محل جرائده المعطلة فلم تلبث أسبوعا . وفي السياق نفسه تأتي جريدة "التقدم" ، وهي يومية سياسية تنطق بلسان "حزب التقدم" الحكومي الذي ألفه عبد المحسن في بغداد ، وقد ظهر عددها الأول في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٨ ، وكان صاحبها ومديرها المسؤول المحامي سلمان الشيخ داود ، وقد انتهت بانتهاء

ذاكرة

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

الحزب المذكور عام ١٩٢٩ .
وحسب تقويم صحيح لباحث متخصص " لم تستطع جريدة التقدم أن تحد من انتقادات الصحف لسياسة حكومة السعدون بصدد المفاوضات التي كانت حول موضوع المعاهدة العراقية البريطانية الجديدة المقترحة ، لأن الحكومة نفسها لم تزودها بمعلومات تتعلق بحقيقة ما يدور حول المفاوضات.
وعلى الخطى نفسها في تلك المسيرة الثقافية ، برزت إلى النور "صوت العراق" وهي جريدة يومية سياسية عامة أصدرها "حزب النهضة العراقية" لتحل محل جريدته المعطلة ، فكان مديرها المسؤول المحامي علي محمود الشيخ علي ، وقد صدرت في بغداد يوم الأحد الثامن من أيلول ١٩٢٩ ، لكن السلطة عطلتها بعد أيام قليلة.
أما جريدة "صدى الاستقلال" ، فقد تمثلت بكونها لسان حال الحزب الوطني العراقي ، وهي يومية سياسية عامة ، أصدرها في بغداد عبد الغفور البدري صاحب جريدة " الاستقلال " يوم ١٥ أيلول ١٩٣٠ ، وكان مديرها المسؤول المحامي علي محمود الشيخ علي وقد لبثت تصدر أياما ثم احتجبت بقرار وزاري في تشرين الثاني ١٩٣٠ .
وفي زحمة هذه الخطوات الواسعة، التي خطاها المثقفون من خلال توسيع قاعدة الصحافة في العراق، لكي تأخذ الكلمة مداها الواسع ، بين فئات وطبقات المجتمع ، ولتعمل عملها النافذ لكل سلبيات الماضي وتخبطات الحاضر ومع مرور الأيام، وهروبها من صحوة الزمان ظهرت " الوميض" ، وقد اتسمت بكونها صحيفة أدبية أسبوعية جامعة ، صاحبها ومحررها القانوني لطفي بكر صدقي ، وقد ظهر عددها الأول في بغداد في ٢٨ تشرين الثاني عام ١٩٣٠، وقد احتجبت بعد أيام من صدورها .
كما صدرت (مجلة الحديث) ، لمديرها المحامي فائق القشطيني، الذي تميز بدوره الريادي في الصحافة ، وهي شهرية غير سياسية ، صدرت في بغداد في تشرين الثاني ١٩٢٧ ، وما لبثت تصدر بانتظام مدة سنة كاملة ثم توقفت ، ولم ينقطع نشاط القشطيني ، فقد كان المدير المسؤول لجريدة " البرهان " ، وهي أدبية انتقادية ، اسبوعية صدرت في بغداد ، وبرز عددها الأول يوم الخميس ١٧ تشرين الأول ١٩٢٩ ، واحتجبت بعد حين ، كما كان القشطيني هذا ، المدير المسؤول لجريدة " النور " وهي أدبية علمية عامة ، صدرت في بغداد مرة في الأسبوع ، وبرز عددها الأول يوم الأحد ٢٣ حزيران ١٩٢٩ ، وقد احتجبت في ١٢ أيلول ١٩٣١لأن صاحبها الشاعر عبد الرحمن البناء أصدر جريدة سياسية بدلها سماها " بغداد " وهي أسبوعية عامة اشترك في إصدارها المحامي أحمد حامد الصراف الذي أصبح مديراً مسؤولاً لها ، وصدر عددها الأول في بغداد يوم الاثنين ٢٠ تموز ١٩٣١ .
لم يقتصر نشاط المثقفين في الصحافة على مواضيع عدة ، كالأدب والسياسة والثقافة العامة ، بل تعدى ذلك إلى العمل في مجال الصحافة العمالية التي بدأت بواكير تطورها مع تطور الحركة العمالية العراقية منذ أواخر عشرينيات القرن الماضي ، ففي الثامن من أيلول عام ١٩٣٠ صدرت في بغداد جريدة "العامل" التي كان المحامي فائق القشطيني مديرها المسؤول ، ثم صدرت في بغداد ايضاً في الثاني والعشرين من تشرين الثاني للعام نفسه جريدة " نداء العمال " التي عرفت نفسها بوصفها " لسان حال العمال الناطق وسلاحهم الأدبي " وكان المحامي توفيق الفكيكي مديرها المسؤول ، وأخيرا صدرت في الموصل جريدة يومية سياسية عامة باسم " العمال " في الخامس من أيلول عام ١٩٣١ لصاحبها ومديرها المسؤول سعد الله زيادة ، وجميع هذه الصحف بدأت تتحدث بلغة جديدة ، وتعالج قضايا عمالية من النوع الذي قلما كانت الصحافة تتصدى لمعالجتها قبل ذلك التاريخ.
استمر تدفق اصدار الصحف بخطى واسعة وتيارات مختلفة ، مما عزز الحركة الثقافية في العراق ، التي كان يقودها المثقفون ، وتواصلاً مع اصدارات الصحف الأخرى ، فقد صدرت " البلاد " وهي جريدة يومية سياسية صدرت في بغداد وظهر عددها الأول يوم الجمعة ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٩ ، وهي من الصحف العتيدة والمعروفة ، وكان صاحب الامتياز المسؤول المحامي رفائيل بطي وقد عطلتها السلطة الحاكمة في ٨ أيار ١٩٣٠. ، إلا ان نشاط صاحبها لم تثنه هذه الاجراءات ، فقد دفعه حبه للثقافة لاسيما الصحافة إلى اصدار " صوت العراق " ، لتحل محل " البلاد " المعطلة ، وهي جريدة يومية سياسية جامعة ، برز عددها الأول يوم الجمعة ١٠ أيار ١٩٣٠ ، ومديرها المسؤول المحامي علي محمود الشيخ علي ، كما اصدر رفائيل بطي أيضاً جريدة " الجهاد" وهي يومية سياسية جامعة ، صدرت في بغداد لتحل محل جريدة " صوت العراق " التي عطلتها الحكومة بعد صدورها ، وقد ظهر عددها الأول يوم الأحد ٢٧ تموز ١٩٣٠ ، واصبح صاحبها رفائيل بطي رئيساً لتحريرها و مد ير ها المسؤول المحامي سلمان الشيخ داود ، إلا انها سرعان ما شملتها قوانين الدولة التعسفية فأوقفتها عن الصدور بعد أيام قلائل من صدورها، لكن رفائيل بطي جابه هذا التعسف ، فأصدر " الأخبار " وهي جريدة يومية سياسية جامعة صدرت في بغداد يوم الخميس ١٨ حزيران ١٩٣١، واصبح رئيساً لها لتحريرها ومديراً لها في وقت واحد ، ولم تلبث طويلاً فقد عطلتها الحكومة ايضاً .
ومن مثقفي المرحلة التي نحن بصدد البحث في اطارها الزمني ، المحامي توفيق الفكيكي الذي واصل السير في خطى الموضوع الصحفي ، ولم تثنه أوامر الحكومة بتعطيل صحفه التي كان يصدرها ، بل زادته حماساً وتواصلاً في اصدار الصحف ، فقد اصدر جريدة " الكرخ " وهي أدبية علمية أسبوعية في بغداد يوم الاثنين ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧ ، وكان صاحب الامتياز الملا عبود الكرخي ، وصار توفيق الفكيكي المدير المسؤول ، وقد عطلتها الحكومة في ١٤ شباط ١٩٢٨ ، ثم استانفت صدورها في ١٨ أيلول ١٩٢٨ ، واحتجبت بعد ذلك احتجاباً نهائيا. ثم واصل الفكيكي السعي في مضمار الصحافة واصدر " النظام " وهي جريدة اسبوعية تبحث في كل شيء عدا السياسة و الشخصيات وكان هو صاحبها ومديرها المسؤول ، وقد برز عددها الأول في بغداد يوم الاثنين ٢٢ آب ١٩٢٧ ، فكان الأول والأخير حيث عطلتها الحكومة بحجة انها خالفت خطتها، لكن هذا المثقف القانوني لم يفتر عزمه وتضعف ارادته ، أمام هذه التعطيلات لصحفه ، فقد انتقل إلى جريدة " الرياض " التي أصدرها محمد الجزائري النجفي في يوم الاثنين ٢٣ شباط ١٩٣١ ، ليصبح مديرها المسؤول ، إلا ان هذه الجريدة لم يصدر منها سوى عدد واحد وتوقفت عن الصدور .
واصلت المسيرة الصحفية نشاطها في خطى ثابتة ، كما تابعت أقلام المثقفين في رفدها بمختلف الكتابات في شتى المواضيع ، وتتابعت في اصداراتها رغم ما كانت تعانيه الحركة الصحفية من اجراءات تعسفية حكومية تمثلت بالقلق والتعطيل لصدور الصحف . وإلى جنب الجرائد التي كانت تصدر في تلك المدة ، كان يصدر عدد من المجلات ، فقد صدرت مجلة " الشباب " وهي اجتماعية شهرية ، صدر عددها الأول في بغداد شباط ١٩٢٩ ، كان مديرها المسؤول عبد القادر اسماعيل ، ثم احتجبت ،كما صدرت " المستقبل " وهي صحيفة نقد وأدب وفن ودعابة ، وكان صاحب الامتياز والمدير المسؤول عبد القادر اسماعيل نفسه، ومحررها ابراهيم صالح شكر ، وقد برز عددها الأول في بغداد يوم الأحد ٢٩ كانون الأول ١٩٢٩ ، ثم توقفت بعد مدة قصيرة ، وصدرت " الرصافة " وهي مجلة اسبوعية مصورة ، صدرت في بغداد في ٢٤ كانون الثاني ١٩٣٠ في يوم الجمعة وكان مديرها المسؤول واحد ابرز رموز السياسة والقانون في العراق ، وهو فائق السامرائي الذي اصدر جريدة " الحارس " في بغداد بتاريخ ١١ كانون الأول .
وفي نفس المسار الصحفي ، صدرت في بغداد " الأماني " وهي مجلة اسبوعية سياسية جامعة / وكان صاحبها ومحررها القانوني عبد الرزاق شبيب ، صدر عددها الأول في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣١ وصدرت منها خمسة اعداد ثم احتجبت ، وتعد من أولى المجلات السياسية التي صدرت في بغداد، وصدرت " الأماني القومية " في بغداد في ٤ أيلول ١٩٣١ وهي مجلة اسبوعية سياسية أصدرها أحد رموز النخبة القانونية في العراق ، وهو عبد الوهاب محمد ، وقد احتجبت بعد مدة قصيرة ، إلا انه بعد مدة زمنية قصيرة صدرت جريدة اسبوعية سياسية جامعة ، حملت اسم " الأماني القومية " وكان صاحب الامتياز فيها عبد الوهاب محمود والمدير المسؤول عبد الرزاق شبيب أما رئيس التحرير فكان ابراهيم صالح شكر ، وقد صدر عددها الأول في بغداد يوم الجمعة ٣٠ تشرين الأول ١٩٣١ وقد احتجبت بعد مدة قصيرة .
ومن أجل الكلمة المتحررة من ربقة العبودية ، ومن اجل البحث عن الحقيقة بطرق مشروعة ، ومن أجل تدعيم حركة تحرير المرأة ، سعى حسين الرحال في مسيرته الصحفية ، ك (أحد أبرز مفكري العراق المعاصر) ، سماه البعض (قاسم أمين العراق) ، إذ أدى دوراً متميزاً في (جعل حركة المرأة في العراق تأخذ شكل حملة) ، وتمت على يديه (عقلنة الفكرة وتقديمها كمطلب من مطالب العملية التاريخية) ، متأثراً في ذلك (بالانجازات النسائية المعاصرة في مصر وتركيا) ليدعو من هذا المنطلق إلى الغاء الحجاب ، ومساواة الرجل والمرأة ، وإلى تغيير المجتمع إذ (لا وجود لنظام إجتماعي طبيعي أو خالد) ، مما كان يعد تحريكاً للبركة الراكدة في مضمار الفكر والسياسة وقد اصدر جريدته الاسبوعية " سينما الحياة " في بغداد يوم الجمعة الموافق للسابع عشر من كانون الأول ١٩٢٦ .
كما اصبح الرحال مديراً مسؤولاً لصحيفة " صدى الكرخ " التي صدرت في بغداد يوم الثلاثاء ١٧ نيسان ١٩٢٨ ، وقد عطلتها الحكومة لأنها خالفت الخطة المرسومة للصحف غير السياسية ، وفي يوم الخميس ١٣ حزيران ١٩٢٩ صدرت صحيفة " الناقد" وهي صحيفة أدب ونقد وفكاهة ، وكان صاحبها ومديرها المسؤول سلمان الشيخ داود من النخبة القانونية ، صدر منها عدد واحد فقط وأغلقتها الحكومة لمخالفتها التعليمات ، وصدرت نشرة اسبوعية مصورة لأحمد جمال الدين سماها " الحوادث" ، ظهر عددها الأول يوم الجمعة ٧ آذار ١٩٣٠ في بغداد ، ولبثت تصدر مدة ثلاثة أشهر ثم احتجبت بمحض ادراة صاحبها .
وفي المجال المهني والتخصصي صدرت " القضاء " وهي مجلة حقوقية في بغداد ، في نيسان ١٩٣٢ ، وكان صاحبها ومديرها المسؤول المحامي جميل الأورفلي ، ولم تدم طويلاً فقد احتجبت بعد مرور أربعة أشهر ، كما أصدر أنور شاؤول جريدة " الحاصد " في بغداد بتاريخ ٢ شباط ١٩٢٩ واستمرت تصدر بانتظام سبع سنوات كاملات تخللتها سنة احتجاب واحدة .

صدى الاستقلال
لسان حال الحزب الوطني العراقي
عريضة الحزب الوطني العراقي الخطيرة
صاحب الجلالة الملك المعظم

حسين الرحال

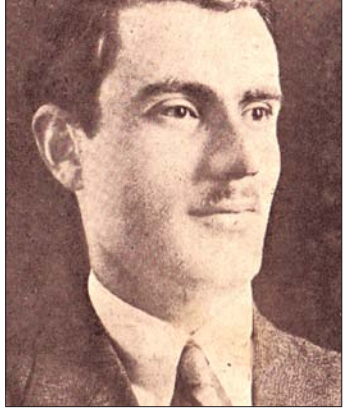
رفائيل بطي

الأب الكرملي

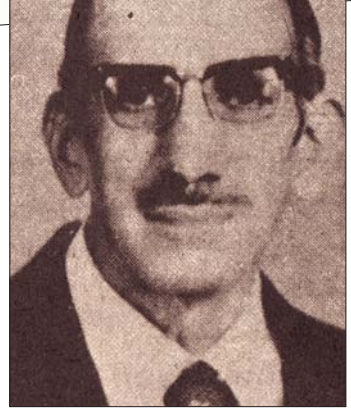
حسين جميل

صادق البصام

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

عبد الرزاق الحسني

يكشف اسرار انضمام العراق الى هيئة الامم المتحدة..؟

تأسست عصبة الامم في اليوم الثامن والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩١٩ ((وهو التاريخ نفسه لمعاهدة فرساي، وفي المحل نفسه الذي اعلن فيها انتصار المانيا وتأسيس الامبراطورية الالمانية في ١٠ مايس، وكان اقتراح الرئيس ولسن الخاص بارسال لجنة التحقيق قد صدر في ٢٠ ايار ١٩١٩ فانتخب المستر تشارلس كراين والكولونيل هنري كينغ ممثلين في اللجنة المقترح ارسالها الى الشرق الاوسط وحذت بريطانيا حدوها فعينت ممثليها، وترنحت فرنسا فأبدت مخاوف كثيرة من القيام بهذا العمل الذي سيكشف دون ريب عن معارضته السوريين لفرض سيطرتهم عليهم، ويؤدي ذلك الى حرمانها من غنيمتها في اتفاقية سايكس. بيكو السرية التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا وروسيا. في ١٥–١٧ أيار ١٩١٦ وجزأت البلدان العربية الى مناطق نفوذ.

اما ايطاليا فانها لم تكترث للموضوع اصلا لعدم وجود مصالح لها في هذه البلاد. والظاهر ان بريطانيا خشيت ان تلاقي هذه اللجنة في العراق .في حال ذهابها اليه. ما ستلاقيه في سوريا، فأخذت تتنصل من الاشتراك، باساليبها المعروفة، ولكن الرئيس ولسن اصر على و جوب ارسال اللجنة واقتصرت على العضوين الامريكيين، فجاءت الى حيفا ويافا في ١٠ حزيران واذاعت هذا البيان:

((ان الشعب الامريكي ليست له مطامع سياسية في اوربا او الشرق الادنى، ويفضل على قدر الامكان تجنب كل علاقة بالمشاكل الاوربية والاسيوية والافريقية، ويرغب باخلاص في ان يسود السلام الدائم، وانه بهذه الروح يدنو من مشاكل الشرق الادنى. لقد عين مجلس الاربعة لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات، فغاية القسم الامريكي الموجود الآن، هي الوقوف جهد المستطاع على احوال السكان والطبقات وعلاقتهم ليكون الرئيس ولسن والشعب الامريكي على بينة من الحقائق في كل سياسة يدعى الى السير عليها فيما يتعلق بمشاكل الشرق الاوسط سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح ام في جمعية الامم)). وشرعت اللجنة تزاول اعمالها في جو تكتنفه دسائس الانكليز والفرنسيين ورغبة العرب في التحرر من الطرفين. وبعد ان زارت ٣٦ مدينة وتسلمت ١٨٣٦ مضبطة، انهت مهمتها في ٢١ تموز ١٩١٩ وعادت الى باريس لتقدم تقريرها فاذا بخلاصته تقول: مهما كانت الادارة الاجنبية التي يؤتى بها الى سوريا والعراق فانه ينبغي ان لا تأتي ابدا باعتبارها دولة مستعمرة بالمفهوم القديم من كلمة الاستعمار، بل باعتبارها دولة وصية من قبل عصبة الامم، شاعرة شعورا خاصا بأن وديعتها المقدسة تفرض عليها طلب خير الشعبين: السوري والعراقي ورقيهما، فلا تصبح دعاوى الحلفاء قصاصة ورق. واقترحت ان يطبق الانتداب من نوع (أ) على سوريا والعراق على ان يكون لمدة محدودة، وان يعامل العراق كوحدة، وان تحافظ سوريا على وحدتها، اي سوريا ولبنان وفلسطين، فيكون شكل الحكومة في كلا البلدين ملكيا دستوريا، ويكون الامير فيصل بن الملك حسين ملكا على سوريا ويختار العراق مليكه بالاستفتاء، وان يسار بالقطرين سوريا والعراق نحو الاستقلال بالسرعة التي تسمح بها الاحوال، وان يعدل المنهاج الصهيوني المتطرف الموضوع لفلسطين فلا يعني جعل فلسطين دولة يهدية، لان تسعة اعشار سكان فلسطين عرب ويرفضون المنهج الصهيوني رفضا باتا. وذكرت اللجنة في تقريرها ان الرأي العام في سوريا يستنكر كل شكل من اشكال السيادة التي يتظلمنا نظام الانتداب، الا انه يود ان تقدم المساعدة اليه من جانب امريكا وفي حالة رفض امريكا ذلك فتكون من جانب بريطانيا، ولكنه يرفضها من جانب فرنسا باي شكل كان. انتهت الخلاصة.

لقد بقي تقرير لجنة التحقيق، موضوعة البحث، طي الكتمان مجاراة ومجاملة لفرنسا وبريطانيا ولم تسمح بنشره الا في اوائل عام ١٩٢٣م، ولم يكن له اي تأثير على القرارات التي اتخذها مؤتمر سان ريمو المنعقد في فرنسا في ٢٤ نيسان من عام ١٩٢٠ والقاضي بفرض الانتداب البريطاني على فلسطين والعراق، والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، دون التقيد برغبات العراقيين والسوريين، كما تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم التي اثبتنا نصها من قبل ودون ان تراعي القربى الجغرافية ((والانتداب هو اسوا ما جاءت به سياسة الحرب العظمى، اذ ماهو الا حماية مستترة على حد تعبير الاستاذ ديبوي، العضو في المجمع العلمي في باريس.

تنويع الانتداب

كانت المستعمرات الالمانية في افريقيا، والجزر الالمانية في المحيط الهادئ والممتلكات العثمانية في سوريا والعراق غنائم وافرة، وكانت فكرة توزيع اسلاب الحرب وغنائمها على الدول المنتصرة من اهم القضايا التي عالجها مجلس الحلفاء الاعلى في ٢٤ كانون الثاني من عام ١٩١٩م. فقد ((تقدم البريطانيون باقتراح ينص على انه. لا يجوز في اية حال من الاحوال. ان تعاد الى المانيا اية مستعمرة من مستعمراتها. وكان لهذه الخطوة خطرها الخارق لان المسألة لا تنطوي على مصير جماعات كاملة من الشعوب وحسب، بل يترتب عليها ان تمنح المانيا اولا تمنح صلحا مبنيا على التراضي الصحيح على نحو ما وعد به ولسن.. ولكنه وافق لويد جورج على طلب تجريد المانيا من جميع مستعمراتها.. وبهذا خطأ اول خطوة من الخطوات نحو الفشل))، فقسمت الانتدابات الى ثلاثة انواع (أ) و (ب) و (جـ) فجعلت البلدان المنسلخة من الامبراطورية العثمانية من النوع الاول، والمستعمرات الالمانية في القارة الافريقية من النوع الثاني، والجزر الالمانية في المحيط الهادئ من النوع الثالث وبني هذا التقسيم على درجة رقي الشعب ومركزه الجغرافي واقتصاده.

وفي ٢٠ آذار من عام ١٩١٩ ايضا، اجتمع مجلس الحلفاء الاعلى في باريس في الشقة التي يقيم فيها لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، وقد رأس الاجتماع كلمانصو رئيس وزراء فرنسا، فاشار على وزير خارجيته المسيو بيثون ان يتكلم، فعرض هذا اتفاقية سايكس. بيكو السرية، فذعر الرئيس الامريكي ولسن لهذه المفاجأة لانه لم يسمع من قبل بأن ما بين حلفائه مثل هذا الاتفاق، ولهذا رفض المشاركة في مثل هذه المؤامرة، ورأى ان يتنصل من تبعتها، فلما شعر الرئيسان البريطاني والفرنسي بأن الرئيس الامريكي ما يزال على شيمته، وانه سيكون حجر عثرة في اعمالها كافة، اعربا عن رغبتهما في مسايرته ومعاملته حتى يفوزا باقرار الاتفاقية السرية المذكورة (واذا نادى الريس ولسن بحقوق الامم المتحدة فما ذلك الا لان الشعوب كانت مستعبدة يسوق الاقوياء الضعفاء لخدمة منافعهم، كما يسوق الجزار مواشيه للذبح، وتطارد الجماعات القوية الجماعات الضعيفة، كما تطارد الذئاب النعاج، فتارة باسم الحرية وطورا بسم حقوق الانسان، ومرة باسم الفتح في عهد الغيت فيه الفتوحات، ومرات باسم الحماية والوصاية ولكنها جميعا أساليب ونماذج للاستعباد).

واجتمع مجلس الحلفاء في ٧ كانون الاول، ووزع المستعمرات الالمانية فاسندت ادارة جزرها في شمال خط الاستواء لليابان، وجزرها في جنوبه لاستراليا، ووضعت افريقيا الجنوبية الغربية تحت ادارة جنوب افريقيا، والشرقية تحت ادارة بريطانيا و... الخ. اما البلاد العربية التي طبق عليها الانتداب من نوع (أ) فقد شرحنا امرها فيما تقدم، بعد ان ادرك الرئيس ولسن في آخر لحظة انه في واد، وان حلفاءه في واد آخر. وكان مجلس الاعيان الامريكي قد رفض سياسته، ورفض عهد عصبة الامم الذي تبناه، واخذ يدعو اليه بحرارة.

الانتداب نظام مؤقت

ذكرنا من قبل ان الذين وضعوا نظام الانتداب، قسموه على ثلاثة انواع هي (أ) و (ب) و (ج) وقلنا ان النوع (ب) من هذا النظام شمل المستعمرات الالمانية في القارة الافريقية، وان النوع (ج) شمل جزرها في المحيط الهادئ. وقد نصت الفقرتان الخامسة والسادسة من المادة (٢٢) من عهد عصبة الامم على (ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ادارتها) وان (تحسن ادارتها بقوانين حكومة الانتداب كما لو كانت جزءا لا يتجزأ من اراضيها) اي ان النوعين (ب) و (ج) ابقيا صفة الاستعمار على الجزر الالمانية في القارة الافريقية وفي المحيط الهادي، وان انتزاع هذا الاستعمار من المانيا الى الدول المنتصرة في الحرب.

اما الانتداب من نوع (أ) فقد ضمن للبلدان العربية المنتزعة من الامبراطورية العثمانية (الاعتراف بكيانها كامم مستقلة على ان تستمد الارشاد والمساعدة من دولة اخرى حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها) وبعبارة افصح: ان هذه الاقطار تعد مستقلة على ان تساعدها دولة قوية وثرية حتى تجعلها في وضع يمكنها من ان تحكم نفسها بنفسها. اي ان نظام الانتداب نظام مؤقت من حيث شكله ونصوصه

ذاكرة
العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

بالقياس الى النوع الاول من انواعه الثلاثة، وهو يقضي بالتطور من حالة الى حالة افضل منها، وهي حال الاستقلال التامن فلا يمكن ان يعد نظاما دائما، ولا ان يتطور مع الزمن الى حالة الاحتلال فالاستعمار، لأن مفهومه قائم على اساس رفع مستوى الشعوب التي تحت هذا النوع من الانتداب. وبعبارة اصح ان نظام الانتداب وضع لتدريب الشعوب تدريبا مؤقتا حتى تستطيع ان تقف بمفردها وتتعامل كدولة ذات سيادة في المجموعة الدولية، وعلى هذا يعد نظام الانتداب نظاما مؤقتا ينتهي ان عاجلا وان آجلا.

على ان من الاهمية بمكان ان نذكر، ان نظام الانتداب شمل المستعمرات التي انتزعت من الدول المغلوبة دون ان يشمل مستعمرات الدول الغالبة، وان ضرورته تقضي بأن تكون الدولة المنتدبة صاحبة الحق وحدها دون الشعوب المنتدب عليها، ودون عصبة الامم التي منحتها هذا الانتداب في الغاء الانتداب (وترجع ضرورة ابتداء الدولة المنتدبة الى سببين اوليين:

اولا: ان الابتداء بالعمل من دونها يعد بمثابة خلع لها.

ثانيا: يجب ان لا يغرب عن بالنا ان المسؤولية فيما يختص بمناطق الانتداب تظل ملقاة على عاتق الدولة المنتدبة حتى بعد تقلص سلطتها والغاء انتدابها.

ولعل خير ما يختم به هذا الايضاح، وصف الفيلسوف الامريكي، ارنست هوكنك، وصفه لعصبة الامم وانتدابها وهذا نصه:

(دستور من ورق، وتقريرمن ورق، ولجنة تجتمع مدة تتراوح من اسبوعين الى ثلاثة اسابيع في السنة في جلسات سرية فهي على وجه التحقيق مؤسسة سخيفة رثة متداعية).

وقد تداعت فعلا في عام ١٩٤٥ (لانها في الاصل لم تكن سوى حل انكليزي. فرنسي. امريكي، تحتفظ بالروح الاستعمارية القديمة تحت مسميات جديدة منمقة).

الغاء الانتداب

قلنا ان مجلس الحلفاء الاعلى كان قد اجتمع في الرابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٠ في سان ريمو بفرنسا، وقرر فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين، والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان دون أن يستشير ابناء هذه البلدان العربية في هذا الفرض، كما حتمته الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم، ودون ان يتقيد بالوعود التي قطعها البريطانيون والفرنسيون لابناء العروبة في مراسلات الحسين. مكماهون. في بلاغاتهم وتصريحاتهم المتكررة فكان من الطبيعي ان لا توضع الشروط والالتزامات المفضية الى انهاء الانتداب.

كان العراق البلد الوحيد الذي استنكر فرض الانتداب ليه وقاومه بقوة السلاح. ولما استطاعت بريطانيا ان تقمع المقاومة بالقوة المسلحة، بقي العراقيون يحاربون النظام المذكور في صحفهم واحزابهم وفي خطبهم واحتجاجاتهم، ولما لم تجد بريطانيا مجالا للمماطلة والتسويف، اضطرت الى انهاء انتدابها على النحو الذي سنفصله الآتي، اما الانتدابات المفروضة على سوريا ولبنان وفلسطين فقد انهتها الحرب العالمية الثانية بعد ان قاتل الانكليز القوات الفرنسية في هذين البلدين.

وقال السير برسي كوكس، الذي اصبح مندوبا ساميا لبريطانيا على العراق:

لقد بلغ الاستياء الذي كانت تقابل به دائما فكرة الانتداب في العراق حدا فائقا حتى ان لفظتي الانتداب والدولة المنتدبة كانتا تعدان تجديفا في نظرهم، فكان من الطبيعي ان يقترح على حكومته البريطانية افراغ الانتداب في قالب معاهدة ترضي العراقيين من جهة. ولو بصورة ظاهرة. وتقنع عصبة الامم بأن بريطانيا ما تزال عند تعهداتها الانتدابية من جهة اخرى، والى هذا يشير التقرير البريطاني الخاص عن سير الادارة في العراق خلال عشر سنوات بالنص الآتي:

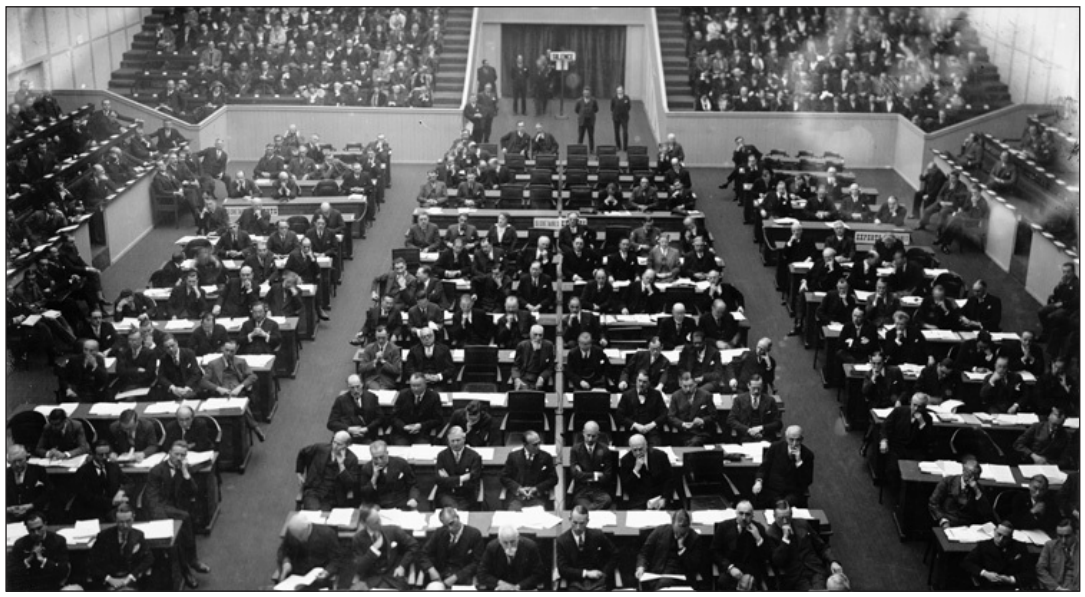

عصبة الامم

((وفي الوقت عينه اخذت مقاومة الجمهور العراقي لأي نوع من انواع الرقابة الخارجية تتزايد سريعا حتى اصبحت من اعظم المسائل القومية شأنا حينذاك، واثارت هذه المقاومة هيجانا خطيرا هدامًا في كثير من انحاء البلاد، فرأت حكومة صاحب الجلالة انه مالم تجد واسطة لمجابهته فلا مفر لها من اطال الاحتلال العسكري اطالة غير محدودة: وبعد التروي الدقيق قر قرارها ان من الافضل تحديد موقفها الحقوقي في العراق ليس في شكل انتدابي مألوف كما كان قد اقترح مبدئيا، بل بشكل معاهدة تعقد بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة العراقية على ان ترضي شروطها العصبة، وتقنعها بأن حكومة صاحب الجلالة مازالت في الحقيقة في وضع تستطيع معه القيام بعهودها الانتدابية فلقد كان في نية الحكومة البريطانية ليس احلال معاهدة محل الانتداب، بل بالاحرى تحديد الانتداب وصوغه بشكل معاهدة.

ولعل خير من يوجز هذه الفكرة الاستاذ كوينسي رايت في مقال له نشره في مجلة العلوم السياسية الامريكية الصادرة في تشرين الثاني١٩٢٦ ص٣٤ وهذا نصه:

لما وجدت بريطانيا ان كلمة الانتداب يكرهها العرب لانها وضعت ايضا على العشائر الهمجية في افريقيا، وعلى الانتداب الفرنسي على سوريا، وبالنسبة للعهود المنقوصة فيما يتعلق بانشاء وحدة عربية ايضا، فقد وجد البريطانيون ان يعترفوا بحكومة فيصل التي بها تنتهي العلاقات الانتدابية.. وبذلك صار لبريطانيا العظمى موقف مهم بحيث كان لها الانتداب على العراق في نظر جمعية الامم، ولا انتداب لها بنظر اهل العراق. انتهى.

كيفية التحرر من الانتداب؟

ولا بد ان نثبت هنا حقيقة لا مناص من اثباتها، وهي ان استنكار الانتداب البريطاني في العراق لم يقتصر على العراقيين حسب، فقد عارضته بعض الشخصيات البريطانية. عارضته امريكا بعد ان رأت ان الشروط التي وضعها الرئيس ولسن عند اقراره نظرية الرئيس البويري سمطس الخاصة بنظام الانتداب، تختلف اختلافا كبيرا عن النهج الذي اتبعه مجلس الحلفاء الاعلى عند فرضه الانتداب على البلدان التي انسلخت من الامبراطورية العثمانية، فمنحت بريطانيا الشركات الامريكية حصصا في شركة نفط العراق فلم يكن امام حكومتها الا ان تسكت فسكتت. وعارضته بعض الشخصيات البريطانية المرموقة بزعم ان بقاء بريطانيا في العراق يكلف دافع الضريبة البريطاني نفقات لا قبل لها بها فاتهمت الحكومة البريطانية هذه الشخصيات بأن تحت ارض العراق بحيرة هائلة من النفط هي عدة الاسطول البريطاني في البحر، ومعين الشركات البريطانية الذي لا ينفد.

اما بالنسبة الى معارضة العراقيين لنظام الانتداب، وللهيمنة الاجنبية فانها بعد ان اخمدت ثورتهم الجبارة بالنار والحديد، اهتبلت فرصة قضاء الفرنسيين على الدولة الفيصلية التي قامت في الشام، واجلت الملك فيصل عن الاراضي السورية المشمولة بالانتداب الفرنسي، فاستدعت فيصلا الى لندن، وتفاهمت معه على اقامة دولة عربية في العراق تحت رئاسته: وحيث ان العراق وضع تحت انتدابها فهي مستعدة لعقد معاهدة تحل محل الانتداب، وان يسار بحكومته قدما حتى انخراطه في عضوية عصبة الامم فتنتهي علاقاتها الانتدابية في العراق على صورة رسمية ولهذا بحث خاص.ويقول القانوني البارع نيجل داودسن في ص٧ من رسالته «العراق او الدولة الجديدة».

((ان الدولة المنتدبة لم تكن تستطيع الوفاء بالالتزامات الانتدابية المترتبة عليها لعصبة الامم، ولا ان تجعل مصالحها المالية في العراق في مأمن مالم يكن في يدها مقدار ما من الهيمنة، وكان السبيل المفضي الى التسوية ان يحول الانتداب الى معاهدة، وهذا ما وقع بالحقيقة فحولت الهيمنة البريطانية المفروضة على دولة العراق، بحكم نصوص الانتداب، الى عدة التزامات بشكل معاهدة قبلها الشريك الاصغر بشكل محالفة.. وبدلا من ان يفرض الفريق القوي قيوده فرضا ويمليها املاء على الفريق الاضعف المتمثل بهيئة حكومة راضخة له، اصبحت القيود التي يقيد بها استقلال العراق التام تشبه على صورة ما قسما من مساومة دائرة بين الدولتين بحيث كان نصيب العراق، والامر من قبيل مبادلة شيء بشيء، ان ينال المساعدة والمعاونة من حليفه الكبير. وفي الوقت نفسه ظل مقدار الهيمنة الذي احتفظت به بريطانيا العظمى تحت شروط المعاهدة كافيا ليمكنها من رعاية المسؤولية الانتدابية المطلوبة لعصبة الامم)).

. انتهى. كانت الحكومة البريطانية قد افرغت انتدابها على العراق في قالب معاهدة مدتها عشرون سنة فاستثقل العراقيون موادها، كما استكثروا مدتها، فلما جرت انتخابات حزب العمال في عام ١٩٢٢، حملت الصحافة البريطانية حملات شديدة على فداحة الضرائب على البريطانيين، وطالبت بالانسحاب من العراق، مما حمل بريطانيا على ان توقع في الثلاثين من نيسان ١٩٢٣ بروتوكولا انقصت مدة المعاهدة المذكورة بموجبه من عشرين حجة الى اربع حجج، فلما اوفدت عصبة الامم لجنة الحدود الى العراق في عام ١٩٢٥ لدرس النزاع الناشب حول عائدية الموصل، وهل تلحق بالعراق كجزء منه لا يقبل التجزئة، ام تلحق بتركية على اساس ان الانكليز لم يحتلها حربا وانما شغلوها شغلا عسكريا، ارتأت اللجنة ان تبقى الولاية المتنازع عليها للعراق بشرط ان يبقى تحت الانتداب البريطاني لمدة ٢٥ سنة، وهكذا مدد اجل المعاهدة البريطانية المعقودة في عام ١٩٢٢، والتي كانت مدتها عشرين سنة ثم انزلت هذه المدة الى اربع سنوات، ولكن رغبة العراق في التحرر من هذه المعاهدة بالانخراط في عضوية الامم كانت تشتد بين يوم وآخر مما حمل بريطانيا على الرضوخ لرغبة العراقيين فوضعت معاهدة ٣٠ حزيران ١٩٣٠ على ان لا توضع موضع التنفيذ الا بعد دخول العراق عصبة الامم لان دخول العراق عضوا في عصبة الامم يحرره من كل قيد انتدابي بصورة رسمية.

اشعار العصبة

اشعرت الحكومة البريطانية عصبة الامم في عام ١٩٢٩ بعزمها على ترشيح العراق لعضوية عصبة الامم اذا ما حل عام ١٩٣٢ قبل ان تتقدم لدرس الاسس التي وضعتها العصبة الاممية لتحرير العراق من نير الانتداب، وتعهدت بتقديم تقرير مفصل عن سير الادارة في العراق بين العامين ١٩٢١ و ١٩٣٢ وقد وضعته فعلا وقدمت نسخة منه الى سكرتارية عصبة الامم في ١٣ مايس من عام ١٩٣١ فكان خير تقرير يوضح اوضاع العراق الاجتماعية والمالية والعمرانية.. الخ، وما ناله من تقدم وازدهار. ويقول احد اعضاء العصبة بخصوص هذا التقرير انه، محاولة دولة حامية تقيم البرهان على كفاءة قطر قد تعهدته بالتدريب للحصول على حق تبوؤ مركز بين الامم وعلى كل فهو يمثل وجهة النظر البريطانية بحق.

فحص التقرير

تولت لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم فحص تقرير الحكومة البريطانية المنتدبة ممثلا لاستجوابه فاضاف هذا المثل معلومات كثيرة على ما جاء في التقرير وكان مما قاله:

يظهر ان الذين سنوا ميثاق العصبة لم يجعلوا العضوية منحصرة في الحكومات الراقية، التي بلغت مستوى خاصا في حياتها السياسية والثقافية، بل جعلوا المقياس على كل حال كون الحكومة مستقلة تمام الاستقلال، وقادرة على ان تقف وحدها، وان يعتمد عليها في القيام بتعهداتها الدولية. ومما لا ريب فيه ان الادارة في العارق وفي تقدم البلاد وحياتها الثقافية هي امور لا تحتمل النقد، ولكن لا يطلب من العراق ان يضاهي الامم المتقدمة العصرية التي بلغت من التقدم والرقي مستوى عاليا، وربما لا يمكنه ان يفعل ذلك حتى ولو بقي تحت الانتداب سنوات عديدة وهل من العدل في شيء او من الضروري ان نقابل بين العراق وغيره من البلدان الراقية)).

قرار العصبة

استمر النقاش والسؤال والجواب طويلا ثم اتخذ مجلس العصبة هذا القرار:

لما كان المجلس مكلفا بالنظر في القضية الخاصة المتعلقة بالغاء الانتداب المفروض على العراق لذلك قرر المجلس الامور التالية:

١. تسجيل الرأي الذي ابدته لجنة الانتداب بطلب من المجلس بناء على اقتراح الحكومة البريطانية.

٢. اعتماد المعلومات المتيسرة كافية للدلالة على ان العراق بوجه الاجمال قد استوفى الشروط الحقيقية المذكورة في ذيل القرار الذي اتخذه المجلس في ٤ ايلول سنة ١٩٣١.

٣. التصريح باستعداده مبدئيا للحكم بانقضاء عهد الانتداب في العراق، عندما تتعهد هذه الدولة امام المجلس بعهود تنطبق على التوصيات الواردة في تقرير اللجنة الدائمة للانتدابات، مع العلم بان حق التقاضي الى محكمة العدل الدولية الدائمة منحصر في الاعضاء الذين لهم ممثلون في مجلس العصبة.

٤. لذلك يطلب المجلس الى مقرريه لمسائل الاقليات والقانون الدولي والانتدابات وممثل بريطانيا العظمى في المجلس ان يهيئوا (باستشارة ممثل الحكومة العراقية) وعند الاقتضاء باستشارة ممثلي اللجنة الدائمة للانتدابات، لائحة تصريح تتناول شتى الضمانات الموصى بها في تقرير اللجنة الدائمة للانتدابات، وعرض تلك اللائحة على المجلس في دورته التالية.

٥. انه اذا حكم المجلس (بعد فحص العهود التي تقطعها الحكومة العراقية) بتقلص ظل الانتداب عن العراق، ينفذ هذا الحكم ابتداء من تاريخ انضمام العراق الى عصبة الامم لا غير.

هيأت اللجنة المختصة في عصبة الامم مذكرتين مختصرتين بالشروط المطلوبة من العراق ضمانا لانخراطه في عضوية العصبة وقد تضمنت المذكرة الاولى موادا تتعلق بالامور العامة كحماية الحياة العامة، واعتبار الرعايا العثمانيين المقيمين في العراق في السادس من آب ١٩٢٤ قد اكتسبوا الجنسية العراقية يتمتعون بحقوق متساوية مدنية كانت هذه الحقوق ام سياسية ام دينية، وكانت كل هذه الامور مدرجة في القانون الاساسي العراقي. اما المذكرة الثانية فهي تقتصر على مصالح الاجانب وبعض الامتيازات الدولية كالسماح للبعثات الدينية، من جميع المذاهب، بحري التبشير والتدريس والتطبيب وغير ذلك، وان يعتبر العراق مقيدا بالمعاهدات والاتفاقات التي كانت دولة الانتداب طرفا فيها، وان التعهدات المالية المكتسبة بين ٢٦ نيسان ١٩٢٥ وتاريخ دخول العراق عصبة الامم ستكون محترمة، ولاسيما تلك التي تعهدت بها بريطانيا نيابة عن العراق، وان يطبق نظام قضائي موحد على العراقيين والاجانب على حد سواء، وان تمنح. على شرط المقابلة بالمثل. جميع الدول الداخلة في العصبة معاملة اكثر الامم حظوة لمدة عشر سنوات اعتبارا من تاريخ قبوله عضوا في العصبة، ويحق لكل عضو من اعضاء العصبة ان يستفسر ما يشاء.. الخ.

الدخول في العصبة

لقد قبل العراق بكل ما جاء في المذكرتين اللتين اعدتهما اللجنة المختصة، واستطاعت الحكومة ان تمررها في البرلمان العراقي، فأعلن مجلس العصبة في الثالث من شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٢ قبول العراق عضوا في عصبة الامم، وتبودلت برقيات التهاني بهذا الحدث الكبير بين الملك جورج الخامس ملك بريطانيا، والملك فيصل الاول ملك العراق، وكان العراق اول قطر يتحرر من الانتداب ويدخل عصبة الامم التي فرضت الانتداب.

عن كتاب ذكريات مضت للمؤرخ الراحل عبد الرزاق الحسني
بغداد ١٩٨٤

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

الحياة في

الحلة

في القرن التاسع عشر

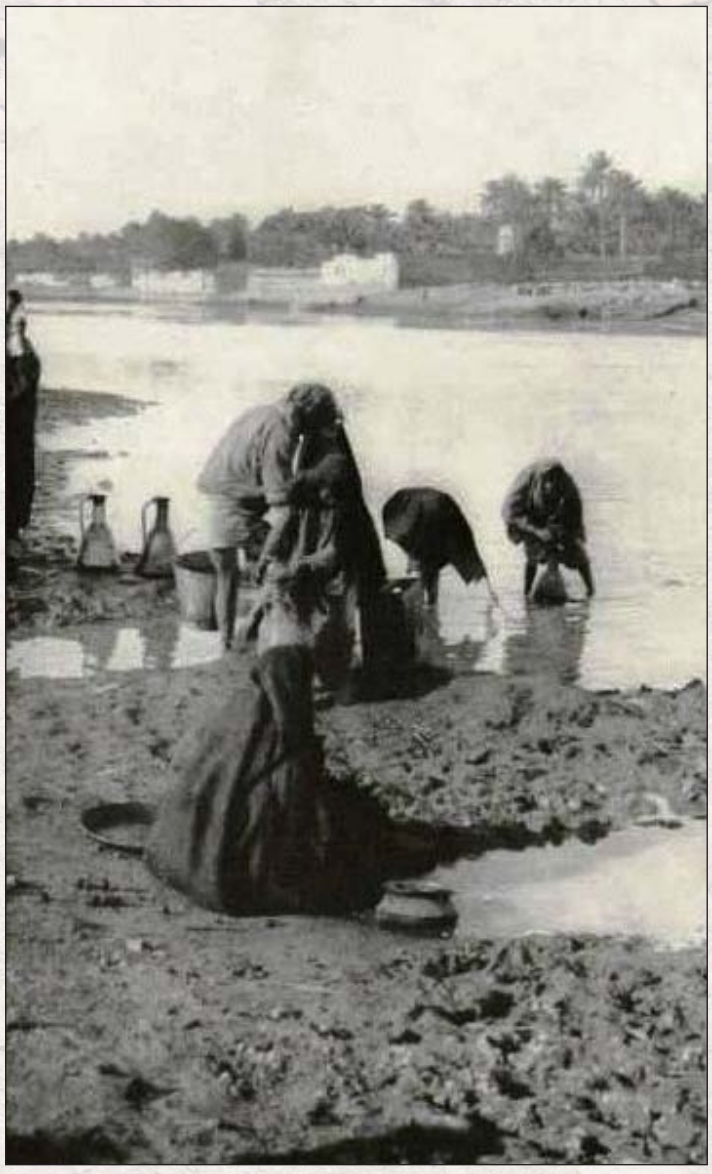

كان العراق في القرن التاسع عشر الميلادي، جزءا من الأمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف ، وقد قسمت هذه الأمبراطورية العراق الى ثلاث ولايات ، يحكم كلاً منها والٍ يختارهُ الباب العالي في الاستانة ((بفرمان)) يصدره السلطان ، دون أن يعرف العراقيون عنه شيئاً ، والوالي هو الحاكم المطلق في ولايته ، وتتركزبيده السلطات السياسية والعسكرية والإدارية .

كانت عملية إسناد المناصب للولاة العثمانيين، لا تخضع لشروط الكفاءة والمقدرة على أدارة شؤون الولاية، وأنما كانت تخضع لعملية البيع والشراء، وإرسال الأموال المقررة عليها سنوياً الى الباب العالي ، و أن لاتزعجه بمشكلات خطيرة ، لهذا فأن الأموال التي كانت تأخذ بالأكراه من الناس ، كانت تنقل من العراق الى استانبول بدلاً من إعمار البلاد أو اصلاح أحوالها ، كما خضعت إدارة شؤون المدن التابعة للولاية للطريقة نفسها .

■ علي كاظم الكريعي

وقد لجأت الحكومة العثمانية الى تمزيق وحدة الصف العربي بصورة عامة ، و الشعب العراقي بصورة خاصة ، لتسهل عملية السيطرة عليه ، وذلك من خلال زرع بذور الخلاف الطائفي ، فحوّلت الشعب الى طوائف ، كما عملت على تغذية وإذكاء الشعور القبلي والعشائري .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التكوين العشائري ، هو النمط السكاني السائد في العراق بأستثناء مراكز المدن الكبرى كبغداد والبصرة والموصل ، حيث اختلطت حياة المدنية على بساطتها مع قيم العصبية العشائرية والثأر والتناحر المحلي .

ومحور الخطورة في هذه الأوضاع ، إنها أفضت حتى قبيل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إلى نشوب ثورات عشائرية كثيرة ، حتى أصبح إخمادها شغل الدولة الشاغل ، نظراً لأستفحال شوكة هذه العشائر ولإندحار قوات الولاة في أكثر من موقعة ، حتى تجرأت العشائر الأخرى بما فيها الصغيرة على أعلان عصيانها على الدولة ، ورفض تأدية ما أقرتهُ الحكومة من ضرائب ، فبنى كل رئيس عشيرة ((قلعة لنفسه)) وأخذ يتحدى فيها كل من يدخل حدود عشيرته.

وعندما أرادت الحكومة فرض سيطرتها المركزية على هذه العشائر ، دخلت معها في صراع طويل ، إمتد حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، بهدف تفكيك النظام العشائري واخضاع العشائر لسيطرتها،وذلك بأستخدام سياستها التقليدية بضرب العشائر بعضها ببعض عن طريق كسب أحداها الى جانب السلطة العثمانية، أوبخلق منافس دائم لكل شيخ من الشيوخ ومن بين أعضاء أسرة الشيخ نفسها. كما عملت على إضعاف عشائر أخرى بواسطة الأغراء واستخدام سياسة القوة والبطش وتدبير المكائد للتخلص من شيوخ العشائر المتنفذين أصبحت الحلة أحد السناجق السبعة التابعة لولاية بغداد وقسمت أراضي السنجق الى وحدات زراعية وإدارية بموجب نظام التيمار الأقطاعي في الحلة .

أتصفت الأدارة في الحلة خلال هذه الحقبة بالأضطراب والفوضى ، وقد ساعد على ذلك النزاعات العشائرية ، ومما زاد في هذه الفوضى ، تعرضت الحلة للخطر الوهابي بداية القرن التاسع عشر الميلادي خاصة بعد أن اظهروا عجزهم عن الإستيلاء على النجف الأشرف. فأستعدت الحكومة العثمانية لذلك ، وأحاطت الحلة بالخنادق والمدافع ، وتطوع عدد كبير من الحليين للدفاع عن مدينتهم ، ولما شارفها الوهابيون ، نصبوا خيامهم في مكان قرب الحلة يقال له ((العيلة)) وعندما تحركوا صوب الحلة، تم ضربهم بالمدفع الموضوع على تل الرماد((منطقة الجبل حالياً)) فأبدى الحليون شجاعة فائقة في الدفاع عن مدينتهم ، أذهلت الوهابيين وألقت الرعب في قلوبهم ، وعرفوا بأنهُ لا طاقة لهم على الأستيلاء على مدينة الحلة ، فرحلوا عنها وغاروا إلى كربلاء.

ولم يقف أهل الحله مكتوفي الأيدي ضد جور الحكام العثمانيين وظلمهم ، وتعرضت المدينة للاجتياح العسكري بين الحين والآخر . ففي سنة (١٢٣٤هـ/١٨١٨م) أرسل الوالي داود باشا ـــ وهو آخر من تولى ولاية بغداد من المماليك ـــ الى الحلة حملة عسكرية ، جردت فيها قبيلة اليسار من حيواناتها ، وعزل شاف الله شغلح الشلال شيخ زبيد من منصبه ، ثم قامت الحملة بالتعرض لعشيرة الصقور غرب المسيب . ونتيجة للاجتياح العسكري للمدينة ، تعاطف أبناء الحلة مع ثورة محمد أغا الكهية واسهموا معه ضد الوالي داود باشا سنة (١٢٤٠هـ/١٨٢٤ م) فقد سخط أهل الحلة على سليمان أغا نائب الوالي في الحلة، بسبب طرده للشيخ موسى بن العلامة جعفر الجناحي كاشف الغطاء وعائلته من مدينة الحلة، وعدهُ خطراً على أمن المدينة وسلامتها ، وصادف في تلك الحقبة،أن غضب محمد الكهية من داود باشا وعزم على القيام بثورة عليه، فراى الحلة أحسن محل يبذر فيه بذور الثورة، فأغار محمد على الحلة واستولى عليها وادعى ولاية العراق ، فما كان من عشائر المنطقة إلا تأييده والإلتفاف حوله وأخذ الثوار يتكاثرون في الحلة، وصار الهجوم على بغداد وشيكا ، اهتم داود بالأمر، فقام بأرسال رتلين من جنوده الى الحلة، فتصدى لهما الثوار وكسروهما مما زاد من عزيمة الثوار.

حاول داود باشا معالجة الموقف الخطر، وذلك بأرسال حملة أخرى الى الحلة ، بقيادة طالب أغا وهو من العقيليين الذين وقفوا الى جانب داود باشا، واستعمل الوالي هذه المرة سلاح الدعاية ، فأنفضت عن محمد بعض القبائل مثل الجشعم ، وكانت المعركة بين الطرفين في كر وفر، إلا انها مالت هذه المرة لصالح داود باشا وجيشه ، فدخل الحلة وقتل كل من كان موالياً لمحمد الكهيه ، وهدم دورهم ، وأبقى في الحله حامية عسكرية من العقيليين بقيادة طالب أغا .

كانت الحامية العقيليه مكروهة في الحلة ، فلم تطقها نفوسهم ، نظراً لإعمالها السيئة ، فثار أهل الحلة من جديد سنة (١٢٤١هـ / ١٨٢٥م) وهاجموا الحامية العقيليه التي كانت موجودة في إحدى ساحات الحلة القديمة المعروفة بساحة ((الحشاشة)). وحاصروا الحامية فتمكنوا من دخولها بعد أن احرقوا بابها وقتلوا كل من كان فيها ، وبقيت الحلة بعد هذه الحادثة بيد أهلها ولم يبقى للسلطة العثمانية فيها أثر يذكر. وعلى أثر ذلك جهز الوالي داود باشا ، حملة عسكرية جديدة وأرسلها الى الحلة ، ولما علم الحليون بذلك إستعدوا لملاقاتها ،

ذاكرة

العدد 2985/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (20)كانون الثاني 2014

ودارت بين الطرفين معركة ، إنتهت لصالح الوالي وجيشه، فدخلها وفعل فيها الأفاعيل من الحرق والهدم والنهب.

وفي هذا العهد وصل الحلة محمد بن أحمد الحسيني المعروف بالمنشئ البغدادي ، وكتب عن رحلته من بغداد الى البصرة عن الحلة قائلاً:

((من الإسكندرية الى الحلة ثمانية فراسخ ، وفي الطريق بضعة خانات ، والحلة بلدة قديمة وجميلة جداً ولها جسر على جانبي الفرات ، وان بابل في الجانب الشرقي من الحلة وان وصفها مشهور ومعلوم وفيها البساتين الكثيرة من النخيل وبيوتها ثمانية آلاف بيت ، واهلها سنه وشيعة ، وفيها مائة بيت من اليهود وان أهل تلك الأطراف شجعان يكرمون الغريب)).

وفي سنة (١٢٥٣هـ /١٨٣٧ م) انتفض اهل الحلة على الوالي رضا باشا والي بغداد وقتلوا كل من كان موالياً للحكومة العثمانية ، وعرفت هذه الثورة عند اهل الحلة بواقعة ((الجربية)) تزعمها مرزوق اغا وهو من أحفاد دبيس بن مزيد الأسدي أمير الحلة.

وفي عهد الوالي محمد صالح وجيهي (١٨٤٨م/١٨٥١م) وجه نامق باشا قائد الفيلق السادس في بغداد ضربة قوية الى بعض العشائر في منطقة الحلة ، بسبب المشاكل التي كانت تثيرها ضد الحكومة ، فطلب الوالي الى معالجة المشاكل العشائرية بالطرق السلمية ، في حين اختار نامق باشا استعمال القوة العسكرية ، فعزل الوالي على اثرها وتم تنصيب نامق والياً على بغداد ، مع زعامة الفيلق وتسمى هذه الواقعة بواقعة ((الوردية)) لأن إجتماع العشائر كانت في أراضي مقاطعة الوردية ، والظاهر ان هذه الواقعة هي التي عرفت بواقعة ((بني حسن)).

(١٨) وثارت عشائر الحلة في الجربوعية والهندية في عهدالوالي عمر باشا (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م) بسبب تطبيق نظام التجنيد الإجباري. وسياسته الشديدة فعمت الثورة الحلة وفقد الأمن وتقطّعت فيها الطرق.

وفي عهد هذا الوالي، دخل الحلة الرحالة الألماني((نيبور)) وكتب ملاحظاته عن الحلة فقال:

((تقع مدينة الحلة على الساحل الغربي للفرات، وهي مدينة على جانب من السعة إلا أنها تعج ببساتين النخيل والقليل من البيوت فقط ماهو مشيد بالطابوق المفخور في حين ان البيوت الأخرى استعمل في بنائها الطابوق المجفف بالشمس ، وفي داخل المدينة جامع ذو منارة واحدة فقط ، بينما نشاهد في خارج المدينة جوامع أخرى متعددة منها المسمى ((بمشهد الشمس)) الشهير لدى الشيعة)).

وفي عهد الوالي مدحت باشا. شهدت أنحاء عفك والدغارة ثورة أخرى سنة١٨٦٩م، وهي أشد خطراً وأوسع نطاقاً، وعرفت هذه الثورة ب((واقعة الدغارة)) أو ((ذبحة المتصرف)) وسماها بعضهم بمعركة ((أم العظام)) حيث شاركت فيها جميع عشائر المنطقة – عدا عشائر الهندية – ضد السلطة اذا امتنعت تلك العشائر عن دفع الضرائب المتراكمة عليها وظلت تماطل في دفعها وتتهرب من تسليمها بحجة ان مزارعهم قد تلفت من جراء الفيضانات التي تحدث في كل سنة ، وبعد ان استمر الشيوخ في امتناعهم عن دفع الضرائب المتراكمة وجه الوالي مدحت باشا أمراً إلى توفيق بك متصرف الحلة بالتحرك الى منطقة عفك لاستحصال الضرائب. سار المتصرف على رأس قوة تقدر بثلاث مئة وثمانين جندياً ونصب معسكره في الجانب الأيمن من الدغارة ، وطلب من الشيوخ الحضور الى معسكره غير ان الشيوخ امتنعوا من الحضور الا واحداً عامله المتصرف بشدة جعلت افراد عشيرته يثورون للاقتصاص من المتصرف ، وسرعان ما عبر أفراد العشيرة النهر، واحاطوا بجيش توفيق بيك وضربوا حوله حصاراً استمر ثلاثة أيام ودارت المعركة بين الطرفين ، قتل على اثرها المتصرف وكبار ضباطه مع عدد كبير من الجنود.

وفي السنوات (١٨٧٣ - ١٨٧٥م) تولى متصرفية الحلة شبلي باشا بعد مراد العزي ، ويظهر ان الحلة جعلت بعد شبلي قضاء تابعا للديوانية. وعيّن فيها معاون للمتصرف أو قائمقام وشغل هذا المنصب طه أفندي وبقي فيها الى سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) ، وفي سنة (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) اعيدت الحلة متصرفية وجعلت الديوانية تابعة لها وعين أشرف باشا متصرفا بها .

وفي هذا العهد وصلت الحلة السائحة الفرنسية ((ديولافوا)) وكتبت عن الحلة قائلةً : ((أنا الان في مدينة الحلة . تبدّلت اليوم الى صحراء قاحلة ، ليس فيها زرع ولا نبات ، بعد ان كانت اكبر المدن القديمة ، وتعد مركز المدينة والحضارة في الأزمان السحيقة)).

وفي ٤ تشرين الأول سنة (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) تولى محمد رشيد بابان متصرفية الحلة ، فأهتم بنقل السراي من الجانب الصغير الى الجانب الكبير، وانشأ له بناية واسعة ضمت جميع دوائر الحكومة.

أما في عهد المتصرف يحيى نزهت افندي ، الذي تولى أمر متصرفية الحلة سنة(١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م) . فقد جف نهر الحلة ، بسبب تحول مجراه الى نهر الهندية. وذهبت أهمية الحلة من الناحية الزراعية والتجارية ، حتى أثر على خزينة الدولة ، لأنها كانت تستفيد من أراضي الحلة أموالاً طائلة ، كما نزح اكثر سكانها وقراها ، وانخفض العدد الى اقل من النصف ، فقد نزح قسم منهم الى الهندية والشامية ، وذهب قسم آخر الى أماكن أخرى ، وأصبحت الحياة لاتطاق في الحلة.

ولما رأت الحكومة العثمانية ما حل بالحلة وقُراها ، اهتمت بالأمر اهتماماً كبيراً ، فاستدعت المهندس الفرنسي ((شندر فير)) سنة ١٨٨٥م ، وطلبت منه أن يقيم سداً على الفرات ، ليحافظ على موازنة المياه الموزعة على أراضي الحلة ، ويقلل من جريانه في نهر الهندية. وفي ٢٦ كانون الأول سنة ١٨٩٢م ، عين علي رضا بك متصرفا للحلة ، وفي أيامه نقل مركز الحلة مرة أخرى الى الديوانية ، وأصبحت الحلة قضاءاً تابعاً لها ، بناءاً على قرار والي بغداد حسن رفيق سنة (١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م) . وفي هذه السنة قامت السلطات العثمانية بتعيين عارف بك الالوسي قائم مقام لقضاء الحلة ، وفي عهده اضطرب الامن ، وعمت الفوضى في قضاء الحلة بسبب النزاعات العشائرية التي نشبت بين عشائر البو سلطان والجبور والخزاعل وال شبل ، حتى قتل فيها المئات الرجال ولم يتكمن القائم مقام من ايجاد الية ايجابية يستطيع من خلالها ايقاف تلك النزاعات المتكررة مما ادى الى عزله ، واسناد منصبه الى راقم افندي وكيل اراضي السنية العائدة للسلطان عبد الحميد .اتسمت الأوضاع في الحلة بفقدان الأمن وعدم الاستقرار وشيوع الفوضى والاضطراب في عهد شوكت بك قائمقام الحلة ، بسبب كثرة عصابات السراق ، التي تنهب المارين حتى في وضح النهار، ولم ينج منهم حتى زوار الأمام الحسين ((عليه السلام)) فضجر الناس منهم ، مما اضطر القائمقام الى الاستعانة بالمواطنين ، وبعض الشخصيات الحلية ، فأرسل القائمقام الى حسين خواجة مختار محلة المهدية ، طلباً يدعوه فيه الى مساعدة الحكومة للقضاء على هذه العصابات ، التي أخذت تسيطر على طريق حلة – كربلاء ، وفعلاً تم وضع خطة مشتركة استطاعوا من خلالها السيطرة على هذه العصابات فقتلوا جماعة منهم وأسروا الباقين ، فأودعهم القائمقام في السجن. وحل الأمن والأستقرار في الحلة ، وبقي شوكت بك قائمقاماً للحلة حتى سنة (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) اذ عزله الوالي جمال باشا ، لانه تأخر عن استقباله عندما زار الحلة .

الحالة العلمية :

كان التعليم في العهد العثماني ، شأنه شأن القطاعات الأخرى فقد كان شيئاً قليلاً ، إلا ان هذا القليل كان كثيراً بالنسبة للعدم ، فقد ظل التخلف هو سمة العراق في القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين ، بسبب السيطرة العثمانية على جميع مرافق الحياة ، اذ انهارت الحياة المادية والفكرية والأدبية ، إلا نفراً من طالبي العلم والمعرفة ، ولم تكن هناك غير ثقافة المساجد والحلقات الدينية ، وهي ثقافة مقتصرة آنذاك على تفسير القرآن وعلوم الفقه والشروح النحوية ، وخلوّها من العلوم العملية ، فلا غرابة ان ضربت الأمية أطنابها خلال الحكم العثماني .

كان التعليم في مدينة الحلة منذ تأسيسها وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تعليماً دينياً ، وهذا التعليم غالباً ما يكون في المساجد وبعض الدور ((تعليم الملالي)) وفي سنة ١٨٧٢م ، أفتتحت أول مدرسة حكومية في الحلة في عهد الوالي محمد رؤوف باشا وعلى عهد متصرفها مراد العزي ، وتم انشاؤها في رأس سوق ((الهرج)) ، وكانت قبلاً تسمى بالمدرسة((الزينبية)) ويعتقد انها من مدارس الحلة أبان نهضتها .

أما وضع المرأة الحلية ، فقد عانت هي الأخرى ، من الأمية ومن ظواهر التخلف ، طوال القرون الثلاثة الأولى خلال الحكم العثماني اكثر مما عاناه الرجل ، وبقي وضع المرأة على درجة كبيرة من التخلف والتأخر، بسبب ما كانت تعانيه من ضغوط إجتماعية ودينية واقتصادية ، جعلتها تلازم البيت لاتخرج منه الا نادراً .

الحالة الصحية :

ومن الناحية الصحية ، كانت قدرات حكومات الولايات الثلاث ، التي يتألف منها العراق ، أعجز من أن تُذكر، فقد انتشرت الأمراض بكثرة في كثير

من الأحيان ، كمرض الطاعون الذي اصبح العراق مرتعاً خصباً له ، فقد تفشى المرض في السنوات (١٨٧٧م و١٨٨١م و١٨٨٢م) ، وكان يفتك بالناس دون رحمة ودون ان يقف أمامه شيء ، حتى غدت الجثث طعاماً سائغاً تعودت علية الكلاب.

ولم يبق من نفوس الحلة البالغ عشرة آلاف نسمة إلا عدداً قليلاً جداً .

وتفشت الهيضة ((وباء الكوليرا)) الحادة في السنوات (١٨٧١م و١٨٨٩م و ١٨٩٢ و١٨٩٩م). فكانت الخدمات الصحية مفقودة الى حد كبير، وكانت محطات الحجْر الصحي الموضوعة في الفاو والبصرة وخانقين والعتبات المقدسة ، وفي بعض المراكز الأخرى في طريق الزوار تجمع بين عدم الكفاءة وخبث المقصد . وكانت تستخدم بسهولة سلاحاً مزعجاً على الأجانب لأن كل فرد كان بوسعه ان يشتري السماح له بدراهم معدودة ، ومما زاد الحالة سوءاً انه لم يكُن في العراق سوى مستشفى عام واحد في بغداد . فلا غرابة أن اصبح عدد سكان العراق يتناقص من خمسة عشر مليون نسمة، ليصبح مليون وربع المليون نسمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. ويسكن اكثرهم القرى والأرياف ، راغبين العيش في تلك المناطق البعيدة عن المدينة ، التي ساد فيها الظلم والفساد وعلى الرغم من تلك الشواهد لم تكن الدولة العثمانية تلقي بالاً على ما كان يصيب العراق من ضرر وسكانه من تعاسة وبؤس.

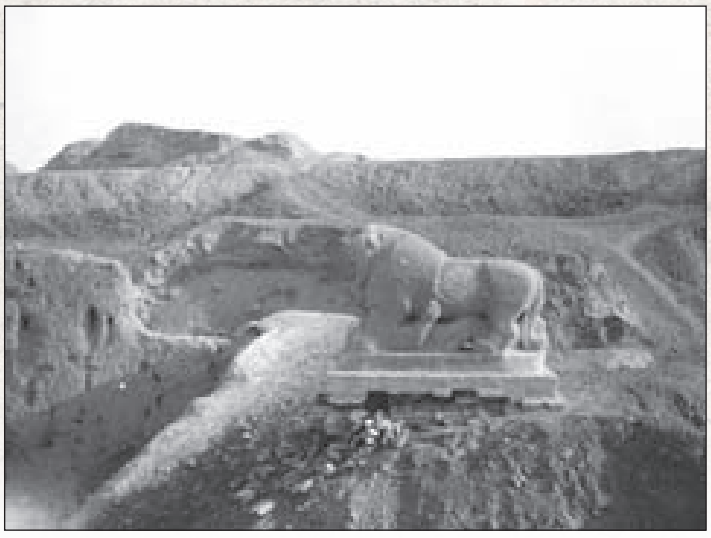

حين احتفلت الاعظمية بفوز محمد علي كلاي

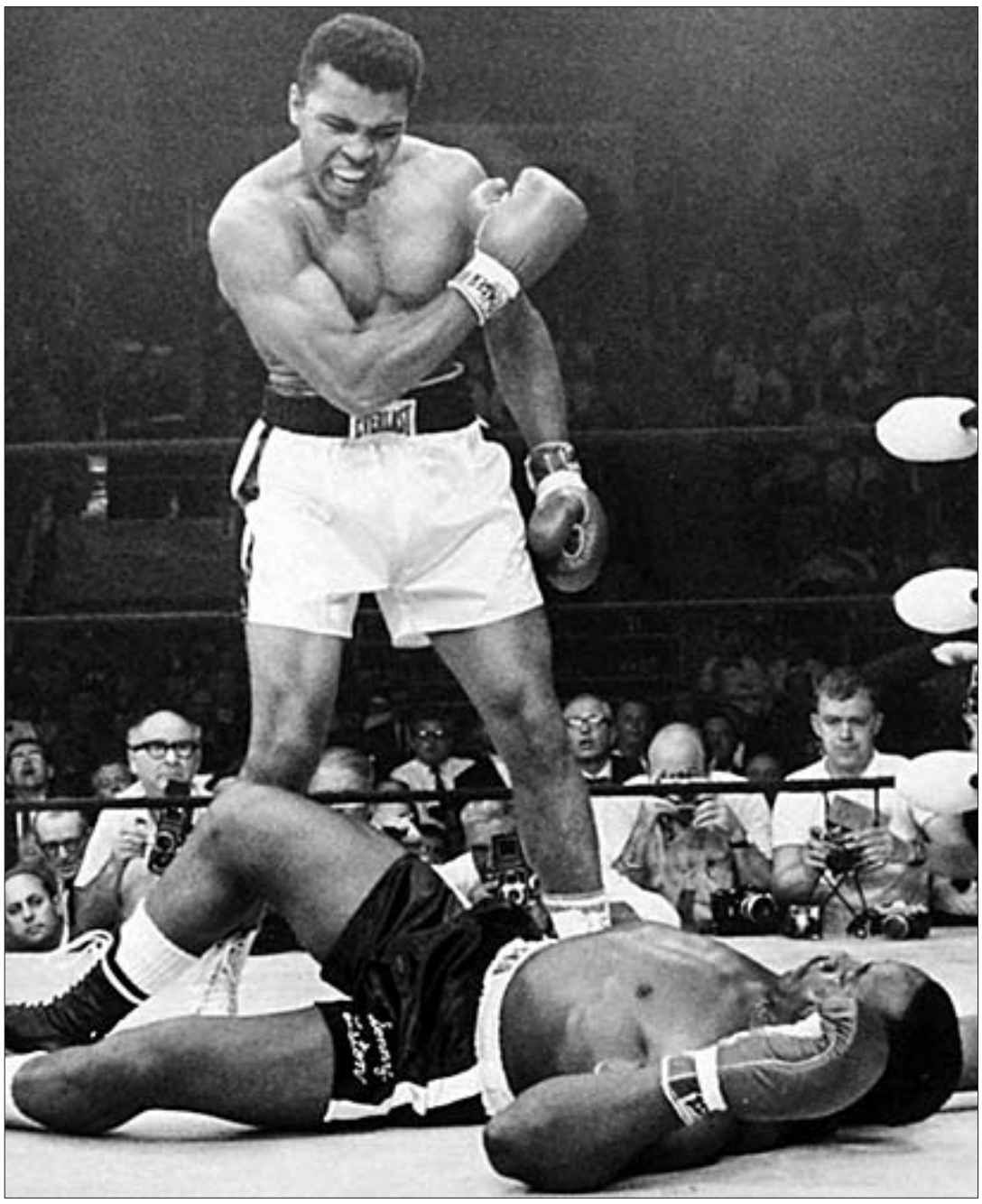

ذاكرة

عد العام ١٩٦٥ من القرن العشرين المنصرم عاما استثنائيا مشهودا على صعيد الرياضة العالمية عموما ولعبة الملاكمة خصوصا، حيث شهدت بغداد والمدن العراقية حركة غير اعتيادية، ونشاطات ملحوظة في مفاصل وتفاصيل حياتها اليومية الرتيبة. بعد اعلان اعتناق الملاكم الاميركي الاصل محمد علي كلاي الاسلام. الاشهر والاسطورة في تاريخ الملاكمة العالمية. هذا الحدث الاستثنائي، فتح شهية العراقيين في ركوب الموجة.

■ رياض العزاوي

وشمل جميع شرائح المجتمع العراقي الذي بدأ يتابع عن كثب ادق التفاصيل الفنية المتعلقة بالنزالات التي يكون فيها لمحمد علي كلاي حضور وطرف قوي لخوض النزالات والمنافسات امام اعتى واشرس واقوى الخصوم في العالم المتمدن.

كان يجندل عمالقة اللعبة ولا يخشاهم ويطيح بهم ارضا ويسقطهم بالضربة الفنية القاضية ما يولد حالة الفرح والسرور والابتهاج، تعم الشعب العراقي عامة، والبغداديون خاصة، تخرج جموع الجماهير في مواكب اعراس ملونة واحتفالات مبتهجة موسعة يتم فيها تبادل التهاني وتوزع القبل بين عامة الناس.

وتقام مآدب الطعام التي تضم ما لذ وطاب من الطعام المنوع وتوزع الحلويات و(الملبس البغدادي) وتكون الدعوات مفتوحة مجانية للمارة باحتساء الشاي والكيك والكعك و(الكليجة) البغدادية المشهورة بطعمها اللذيذ، ومن اشهر الاحتفالات تلك التي اقيمت بفوز الملاكم المسلم محمد علي كاسيوس كلاي، وكان يجري في الاعظمية والكاظمية حيث كانت تقام في المدينتين المتجاورتين الذي يعانقهما دجلة الخير الكاظمية المقدسة ومدينة الاعظمية، وتشهدا تجمعا كبيرا واحتفالات موسعة تكون مركزا لتجمع اهالي بغداد والمدن العراقية القريبة من هاتين المدينتين، وهي ترتدي حلة قشيبة من مظاهر الزينة والاهالي بزيهم وملابسهم الفولوكلورية العراقية الجميلة الالوان والاشكال وهي تصحب معها الفرق الموسيقية الشعبية وفرق المربعات البغدادية ومجاميع حملت الاعلام والدفوف، قادمة من باب الشيخ والصدرية والمربعة وقنبر علي وابو سيفين والفضل وهي تلهج بالغناء وتبتهج بالنصر الكبير الذي حققه بطل العالم المسلم محمد علي كلاي.

ومن اشهر هذه الاعراس الرياضية الاحتفالية وكانت تقام في محله الحارة في مدينة الاعظمية، مجلس الرياضي المصارع فتاح الاعظمي (رحمه الله) الشخصية الطيبة الفكهة صاحب النكتة السريعة والمواقف الطريفة البغدادي والعنوان والرمز الاصيل. كان يدعو الناس الى حفلة شاي مطعم بالحليب وتناول (الكليجة البغدادية). ومن اشهر هذه الاحتفالات التي اقامها الرياضي الاعظمي يوم الاثنين المصادف ٢٩ من شهر تشرين الثاني من العام ١٩٦٥.

تاريخ فوز الملاكم المسلم محمد علي كلاي على الملاكم العالمي (باترسون)، حضرت فيه نسوة من الاعظمية ومناطق مختلفة من بغداد، وهن يطلقن الهلاهل والاهازيج البغدادية ونثر (الجكليت) الفاخر من محلات نعوش الشهيرة التي تتساقط كالمطر على رؤوس وهامات المحتفلين.

واستغرقت الحفلة التي بدأت مبكرا من الساعة الرابعة والنصف عصرا حتى ساعة متأخرة من الليل بعدها توجهت جماهير المحتفلين الى مدينة الكاظمية لأداء مراسم الزيارة للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وتقديم الشكر الى الله على هذا النصر العظيم الذي حققه البطل المسلم محمد علي كلاي، بعدها يجري لم شمل المحتفلين مرة ثانية لإكمال السهرة والاحتفال حتى ساعات الصباح الاولى، ويتفرق المحتفلون بعدها لإداء صلاة الفجر وليخيم الهدوء ويبدأ يوم جميل وصباح جديد في حياة البغداديين، وينتشر شعاع الشمس على بغداد السلام والعز والنصر الدائم، وتعود الحياة فيها ويسود السلام والاخاء والمحبة على ربوع العراق ومدينة بغداد ويجمعهم الهم المشترك والقضية الواحدة والطموح والامل المنشود للعيش بحياة رغيدة ترفل بالخير العميم والرزق الوفير والسعادة الدائمة، وينعم بها جميع العراقيين الاخيار. اصحاب اولى الحضارات الانسانية التي انتشلت البشرية من دياجير الظلام الى نور الحضارة والرقي الانساني.

ذاكرة
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

نائب رئيس التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون